

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
155
رجل المستحيل
الإرهاب



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستٍّ لغات حيَّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب « رجل المستحيل » .

د. نبيل فاروق

1 ـ شياطين ..

توقَّفت سيارة فارهة بيضاء ، أمام ذلك المبنى الكبير فى قلب مدينة (نيويورك) الأمريكية ، والذى يحمل شعار شركة (أميجو) للإلكترونيات ، وهبط منها المدير الإدارى للشركة (موريس أنزيو) ، وهو يحمل بين أصابعه سيجاره الكوبى الفاخر ؛ فأسرع إليه حارس المبنى ، مع اثنين من رجال الأمن ، ويصحبتهم سكرتيرته الخاصة ، التى سارت إلى جواره ، وهو يتجه نحو المبنى ، وراحت تلخص ما لديها فى كلمات سريعة ، قائلة :

ـ فى الثامنة والنصف ينبغى أن تتصل بمسئول وزارة الدفاع الأمريكية ، بشأن صفقة أجهزة التوجيه الجديدة ، فى طائرات (ف ـ 15) ، وهناك مقابلة فى التاسعة ، مع مدير شركة (نور ثروب) ، أما فى التاسعة والنصف ...

تابعها (أنزيو) فى اهتمام ، وهو يتجه معها إلى ذلك المصعد الخاص ، الذى يصعد إلى مكتبه مباشرة ، فى الطابق الأربعين من المبنى ، وسألها وهما يدلفان إليه ، مع أحد حرَّاسه :

ـ هل أرسلت نسخة من هذه التقارير ، إلى السيد (أميجو صاندو) ؟!

أومأت سكرتيرته (لورا) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ كما يحدث دومًا يا سيِّدى .. لقد أرسلت نسخة خاصة ، بالبريد المؤمَّن والمضمون ، إلى ذلك العنوان البريدى فى (زيورخ) ، و ......

صمتت لحظة متردِّدة ، فسألها فى قلق :

ـ ومـاذا ؟!

هزَّت (لورا) كتفيها ، مجيبةً :

ـ ولكننا لا نتلقى أيَّة ردود ، منذ أكثر من عام كامل .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من شأننا .. إننا ننفذ تعليمات المالك فحسب .

عادت تهز كتفيها ، مغمغمة :

ـ أنت على حق يا سيِّدى ليس هذا من شأننا .

صمتت لحظة ، والمصعد يواصل رحلته بهم ، إلى الطـابق الأربعين ، ثم لم تلبث أن تساءلت فى فضول :

ـ ألا يأتى السنيور (أميجو) إلى الشركة أبدًا ؟! أعنى ليباشر أعماله على الأقل .

انعقد حاجباه ، وكأنما لا يروق له السؤال ، وأجاب فى شىء من الخشونة ؛ ليمنعها من إلقاء المزيد من الأسئلة :

ـ إننا نتلقى أوامره هاتفيًا أو بريديًا .

أومأت برأسها متفهمة ، ولكنه أضاف ، فى شىء من العصبية :

ـ إنها ليست حالة شـاذة .. ألا تذكرين ذلك الغموض ، الذى أحاط بـ (هيوارد هيوز)(*) ؟!

غمغمت :

ـ بالتأكيد .

بلغ المصعد بهما الطابق الأربعين ، حيث مكتب (أنزيو) ، وما أن انفتح بابه ، حتى غادره ثلاثتهم ، و(أنزيو) يقول فى حزم :

ـ أريد ملخصًا كاملاً لصفقات شركة (دينتروبا) خلال الـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهمـا ، وارتـد جسده إلى المصعد بحركة حادة ، كما لو أصابتـه صاعقة ، وشهقت (لورا) فى قوة ، فى حين سحب الحارس الخاص مسدسه بحركة

(*) هيوارد روبارد هيوز (1905 ـ 1976م) : رجل أعمال أمريكى ، عُرف بوصفه من أغنى الناس فى العالم ، وخلال ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين ، اكتسب شهرته كمنتج سينمائى وطيار ، وفى منتصف الخمسينات ، اختفى متعمدًا عن الأنظار ، فلم يعد يظهر فى العلن ، أو يسمح بالتقاط الصور له .

سريعة متحفزة ، وثلاثتهم يحدقون فى ذلك الشخص ، الذى وقف هنـاك ، عنـد النـافذة الكبيرة ، فـى نهايـة المكـان ، يتطلـع إلـى (نيويورك) فى صمت ، وقد عقد كفيه خلف ظهره فى هدوء ..

وعلى الرغم من أن ذلك الرجل لم يلتفت إليهـم ، أو تبـدر منـه أية بادرة ، توحى بالقلق لتغدو مهمة ، فقد قال فى صرامة ، بلغة أمريكية ، حملت لكنة مكسيكية واضحة :

ـ أعدْ مسدسك إلى غمده يا رجل .. إنه أنا .

ظلّ الحارس على تحفزه ، الذى أضيف إليه الكثير من التوتر ، فى حين هتف (أنزيو) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ سنيور (أميجو) ؟! أهو أنت ؟!

حدّقت (لـورا) فـى الواقف بذهول ، وهـى تهتـف ، بصـوت اختنق من فرط الانفعال :

ـ سنيور (أميجو) ؟!

ثم هتفت بكل ذهولها :

ـ ولكن كيف ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

تجاهل ذلك الشخص سؤالها تمامًا ، وكأنمـا لا يعنيـه حتـى أن يجيبه ، فى حين اندفع (أنزيو) نحوه ، هاتفًا فى حماس :

ـ يا لها من مفاجأة ! مرحبًا بك يـا سنيور .. لمـاذا لـم تبلغنـا بقدومك ، حتى نستعد لاستقبالك على نحو لائق .

قال الرجل فى صرامة :

ـ أنت تعلم كم أبغض الرسميات .

ارتبك (أنزيو) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سنيور (أميجو) .. بالتأكيد ..

تجمّد الموقف بعدها بضع لحظات ، وكأنما لا يـدرى أحد مـا الذى ينبغى أن تكون عليه الخطوة التالية ، حتى قال الرجل فى صرامة :

ـ ألم آمرك بإعادة مسدسك إلى غمده يا هذا ؟!

انتفض الحارس الخاص فى توتر ، واتسعت عيناه عن آخرهمـا ، وهو يتساءل ، كيف يدرك الرجـل كل هذا ، دون أن يلتفت إليهم مرةً واحدة طوال الوقت ؟!

أما (لورا) ، فقد ضاقت عيناها ، وهى تتأمّل ذلك الرجل فـى انبهار ، قبل أن يقول بنفس الصرامة :

ـ اتركونا وحدنا .

كانت عبارة قصيرة للغاية ..

ولكنها شديدة الوضوح ..

لذا ، فقد انسحبت (لورا) فى سرعة إلى المصعد ، وهى تغمغم فى ارتباك :

ـ بالتأكيد يا سنيور (أميجو) .. بالتأكيد .

ارتبك الحارس الخاص ، وهو ينقل بصره بين ذلك الرجل ، ورئيسه المباشر (أنزيو) ، فأشار إليه هذا الأخير برأسه أن يطيع الأمر ، فتراجع بدوره ، مغمغمًا :

ـ سأبقى جهاز الاتصال مفتوحًا .

تمتم (أنزيو) فى خفوت :

ـ لا بأس .

ساد صمت مهيب على المكان ، حتى غادر المصعد بالحارس والسكرتيرة ، فوقف (أنزيو) متأهبًا ، وهو يشعر بانفعال جارف ، يسرى من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

أما الرجل ، فقد ظلّ صامتًا طويلاً ..

طويلاً جدًا ..

كان يستعيد ذكريات عديدة ، ملأت رأسه كله ، وفاضت منه إلى عروقه وخلاياه ..

ذكريات فقدانه ذاكرته قديمًا فى المكسيك[*] ..

وزواجه من (سونيا جراهام) ، أفعى (الموساد) الرهيبة[**] ..

وابنه منها[***] ..

وتلك الثروة التى استولى عليها منها ، وأقام بها ذلك الصرح الهائل ، فى قلب (نيويورك) [****] ..

الصرح ، الذى يستخدمه مع أرباحه ، لخدمة وطنه الأم .. (مصر) ..

كان كل شىء يدار بدقة مدهشة ، وحنكة لا سبيل إلى كشفها ، عبر مجموعة من خبراء جهاز المخابرات العامة المصرية ، وعلى نحو لا يسمح باختراقه قط ..

بل لم يكن هناك عربى واحد ، يعمل فى المناصب الإدارية الرئيسية للشركة ؛ وردًا للشبهات ..

(★) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (81) .

(★★) راجع قصة (الأخطبوط) .. المغامرة رقم (82) .

(★★★) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (84) .

(★★★) راجع قصة (لمسة الشر) .. المغامرة رقم (85) .

ولكن فروع الشركة كانت منتشرة ، فى كل عواصم العالم ..

ومعها عيون المصريين وعقولهم ..

وهذا وحده ، كان ربحًا لا يمكن تصوُّره ..

أو تجاهله ..

أو المجازفة بإثارة أدنى شبهات حوله ..

باختصار ، كانت شركـة (أميجـو) للإلكترونيات ، من أقوى أسلحة المعلومات للمخابرات المصرية ، فى العالم أجمع ..

والأمر الذى كانت تجهله (لورا) تمامًا ، هو أن تلك التقارير ، التى ترسلها إلى (زيـورخ) ، كـانت تبلـغ المخـابرات المصريـة ، فى اليوم نفسه ..

تقارير عن تطوّر التسليح ..

والاتصالات ..

ونظم المعلومات ..

وعلى نحو رسمى تمامًا ..

و ...

« لدينا هنا قسم للتحريات .. أليس كذلك ؟! »

ألقى (أدهم صبرى) ، المعروف فى الشركة باعتباره (أميجـو صاندو) ، السؤال فى حزم ، فسرت قشعريرة فى جسد (أنزيو) ، وهو يجيب فى سرعة وانفعال :

ـ بالتأكيد يا سنيور .

تساءل (أدهم) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ وكم يبلغ توغل أفراده ، فى المجتمع الاقتصادى ؟!

بدا (أنزيو) حذرًا ، وهو يجيب :

ـ إلى أقصى حد يمكنك أن تتصوُّره يا سنيور .

وتردَّد لحظة ، قبل أن يتساءل ، فى حذر أكثر :

ـ أهى صفقة جديدة ، أم ..

قاطعه (أدهم) ، دون أن يسمح له بإتمام السؤال :

ـ وماذا عن العالم السفلى ؟!

اعتدل (أنزيـو) ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتساءل فى توتر :

ـ ألا يمكنك أن تخبرنى ، ما الذى تسعى إليه بالضبط يا سنيور ؟! أعنى أن هذا قد يختصر الكثير من الوقت .

صمت (أدهم) بعض الوقت ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ وقد يؤدى إلى تعقيدات لا داعى لها ..

شعر (أنزيو) بحيرة شديدة ، وهو يحاول استيعاب هذا الموقف ، ثم لم يلبث أن اعتدل فى وقفته ، متسائلاً :

ـ سنيور (أميجو) .. بمَ تأمر بالضبط ؟!

وهنا فقط ، التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى حزم :

ـ أريد الاجتماع بأفضل عناصر قسم التحريات يا (أنزيو) .. فورًا .

ومرة أخرى ، سرت قشعريرة ، فى جسد (أنزيو) ..

قشعريرة باردة ..

كالثلج ..

* * *

« سيسعى للبحث عن رفاقه .. »

نفثت الزعيمــة الغامضــة دخـان سيجارتها الطويلـة فـى قـوة ، وهى تنطق العبارة فى ثقــة وهدوء ، فابتسمت تابعتهـا الصينيـة الحسناء (تيا) ، فى شىء من الخبث ، وهى تقول :

ـ تبدين واثقة أيتها الزعيمة .

رمقتها الزعيمة بنظرة جانبية ، وهى تقول :

ـ وهل سبق لى أن أخطأت قراءة التوقعات ؟!

أجابتها (تيا) فى حماس مخلص :

ـ مطلقًا .

ابتسمت الزعيمة ، فى خبث مماثل ، قائلة :

ـ ومازلت تسألين ؟!

أجابت (تيا) فى سرعة :

ـ ليس للمعرفة .

ثم تراجعت متزلّفة :

ـ ولكن للاستمتاع بالجواب .

ارتسمت لمحة ساخرة ، على طرف شفتى الزعيمة ، وهى تقول :

ـ حقًا ؟!

ثم اعتدلت ، متابعة فى حزم :

ـ ما دام لم يجد رفاقه هناك ، فى الأدغال ، فسيأتى حتمًا للبحث عنهم هنا(*) .

أشارت (تيا) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ السؤال هو : كيف سيعبر حدود الولايات المتحـدة الأمريكيـة ، فى أيام بلغت فيها التوترات ذروتها ..

تضاعفت السخرية ، على شفتى الزعيمة ، وهى تقول :

ـ لست أظن هذا يمثل له مشكلة ..

لم يرق الجواب للصينية الحسناء ، فقالت فى توتر :

ـ بل هى مشكلة .. ومشكلة كبيرة أيضًا ، فى ظروف مكافحة الإرهاب هذه ؛ فكل قوات الحدود متحفزة ، والحدود كلها مراقبـة بوسائل إلكترونية ورقمية متطـورة للغاية ، وأوراق الجميـع يتم فحصها ، بوسائل يستحيل العبث بها ، و ...

قاطعتها الزعيمة ، وهى تلقى سيجارتها بعيدًا :

ـ وما حاجته إلى كل هذا التحايل ؟!

سألتها (تيا) فى إصرار :

(★) راجع قصة (الحرب) .. المغامرة رقم (154) .

ـ كيف سيصل إلى هنا إذن ؟!

تراجعت الزعيمة فى مقعدها ، وأشعلت سيجارة جديدة ، تابعتها (تيا) فى شىء من التوتر ، وهى تنفث دخانها فى الهواء بعمق ، قبل أن تجيب بابتسامة جذلة :

ـ بجواز سفره .

حدّقت الصينية الحسناء فيها بدهشة واضحة ، قبل أن تكرّر :

ـ جواز سفره ؟!

اعتدلت الزعيمة بحركة حادة ، وأشارت إلى جهاز الكمبيوتر القريب ، وهى تقول بلهجة آمرة مفاجئة :

ـ ابحثى فى قوائم الوصول ، عن اسم (أميجو صاندو) .

بدت الدهشة على وجه (تيا) ، وهى تنتقل إلى الكمبيوتر ، متسائلة فى حذر :

ـ (أميجو صاندو) ؟! أتعنين ذلك المليونير الغامض الذى ...

قاطعتها الزعيمة فى صرامة :

ـ ابحثى .

جرت أصابع (تيا) على أزرار الكمبيوتر فى سـرعة ، قبل أن يلتقى حاجباها ، وهى تطالع شاشته ، قائلة :

ـ لقد وصل بالفعل ، فجر اليوم .

بدا اهتمام شديد على الزعيمة ، وأطلّ واضحًا من صوتها ، وهى تقول :

ـ وصل ؟!

التفتت إليها (تيا) ، متسائلة فى حيرة :

ـ هل تعتقدين أن ذلك المليونير هو ...

قاطعتها الزعيمـة مرة أخرى ، وهـى تنهـض فـى انفعـال ، قائلة :

ـ ربما يحمل لقب مليونير ، ويرتبط اسمه بشركة إلكترونيات كبيرة ، ولكننـى واثقـة من أنـه لا ينفق سنتًا واحدًا من أربـاح شركته هذه ، لشراء قطعة حلوى .

سألتها (تيا) ، وقد بدأت تشعر بحرارة الأمر :

ـ أين تذهب أرباح الشركة إذن ؟!

صمتت الزعيمة بضع لحظات ، قبـل أن تتـألق عيناهـا ، وهـى تقول ، وكأنها تتحدث مع نفسها :

ـ هـذا هو السـؤال ، الـذى ينبغى أن نطرحـه على الإدارة الأمريكية الجديدة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى سخرية :

ـ الإدارة التى نـذرت نفسـها ؛ للقضـاء على مصـادر تمويل الإرهاب .

قالتها ، ثم تفجَّرت من حلقها ضحكة ..

ضحكة لخصت الكثير من مشاعرها ..

ومن نواياها ..

ومن الصراع القادم ..

الصراع الذى سيخوضه رجل المستحيل ، مع دولة بأكملها ..

دولة بكل قواتها ..

وقدراتها ..

وسلطاتها ..

وشياطينها ..

كلهم ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

2ـ ناقوس الحرب ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثانية صباحًا فى (القاهرة) ، عندما دلف النائب الأوّل لمدير المخابرات العامة المصرية إلى مكتب هذا الأخير ، وهو يحمل مظروفًا كبيرًا ، زينه شريط أحمر فى ركنه ، طبعت فوقه ، بحروف سوداء كبيرة كلمتا (سرى للغاية) ..

وفى اهتمام شديد ، تساءل المدير :

ـ أخبار جديدة عن (ن ـ 1) ؟

أومأ النائب برأسه إيجابًا ، وهو يقول ، فى لهجة شفت عن مدى قلقه :

ـ لقد وصل إلى مقر الشركة فى (نيويورك) ، ويجتمع حاليًا برؤساء قسم التحريات .

التقى حاجبا المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، متسائلاً :

ـ يجتمع بهم ؟!

أجابه النائب :

ـ هـذا أثـار حيرتنـا أيضـًا يا سـيادة الـوزير ؛ فالعميـد (أدهم) لم يعتد الاستعانة بـآخرين ، فـى مثـل هـذه الأمـور الخاصـة .

غمغم المدير :

ـ ما الذى يفعله بالضبط ؟!

قال النائب فى قلق :

ـ ربما يحاول توسيع دائرة البحث ، أو ...

قاطعه المدير فى حزم :

ـ (ن ـ 1) أذكى من أن يفعل هذا .

ثم اعتدل ، وعاد يقول ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ إنه يضع خطة ما .

تساءل النائب فى دهشة :

ـ بهذا الوضوح ؟!

قال المدير فى حزم :

ـ أنـت تعـرف (ن ـ 1) .. مادام يتعامل بهذا الوضوح ، فهذا لا يمكن أن يعنى إلا أمرًا واحدًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ إن لديه أمرًا آخر غير واضح .. على الإطلاق .

وهزَّ رأسه ، قبل أن يتابع :

ـ السؤال هو : ما الذى لديه بالضبط ؟! وإلى أى مدى ، يمكن أن تتطوَّر الأمور ؟

همَّ النائب بقول شىء ما ، إلا أنه لـم يلبـث أن أطبق شفتيه ، على نحو ملحوظ ، جعل المدير يسأله فى اهتمام :

ـ فيم تفكِّر .. هات ما لديـك يا رجل .. أنت تعلم أننـى أميل دومًا إلى سماع كل الاقتراحات .

تردَّد النائب لحظة ، فأضاف المدير فى حزم :

ـ وبلا تردُّد .

وهنا ، حسم النائب أمره ، وقال :

ـ الواقع يا سيِّدى أننى ، مع مجموعة من الزملاء هنا ، نرى أن العميد (أدهم) قد تجاوز كل الحدود المسموح بها فى عالمنا هذا .

تراجع المدير فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، قائلاً :

ـ أترون هذا حقًّا ؟!

تـابع النـائب ، وكأنمـا يخشـى أن يتوقـف ، فيفقـد شـجاعة الاستمرار فيما بعد :

ـ فطوال الآونة الأخيرة ، انشغل بصراعات شخصية ، انتزعته من واجبه الرئيسى ، فى خدمة (مصر) ، مهما كانت التضحيات .

أومـأ المدير برأسـه ، إيماءة بـلا معنـى واضـح ، فاسـتطرد النائب :

ـ صحيح أن تاريخه مشرف للغاية ، وأن الخدمات التى قدمهـا للوطن لا تقدر بمال ، إلا أن مواقفه الحالية ، أصبحـت تهدِّد أمن

الوطن نفسه ، الذى بذل كل ما بذلـه مـن أجلـه ، حتـى أننـا لـو استشرناه هو نفسه فى الأمر ، لرأى نفس ما نراه الآن .

تنهَّد المدير ، وهو يتساءل :

ـ وما الذى ترونه بالتحديد ؟!

صمت النائب لحظة ، استجمع خلالها كل حزمه ، قبل أن يشد قامته ، فى وقفة عسكرية ثابتة ، وهو يجيب :

ـ العميد (أدهم صـبرى) لا يمكن أن يسـتمر فـى صـفوف المخابرات .

اعتدل المدير ، وهو يتساءل فى انفعال :

ـ أتعنى أن ...

لم يحاول إتمام عبارته ، فتابع النائب بمنتهى الحزم :

ـ نعم يا سيادة الوزير .. لابد من إصدار قرار بإحالة العميد (أدهم صبرى) إلى الاستيداع فورًا ..

والتقى حاجبا المدير فى شدة ..

فقد كان هذا ، من وجهة نظره ، أخطر قرار يمكن أن يتخذه ، فى تلك الفترة العصيبة ..

أخطرها .. على الإطلاق ..

★ ★ ★

بدأت وزيرة الخارجية الأمريكية السمراء يومها ، صارمة قاسية كالمعتاد ، ولم تحمل ملامحها خلجة ارتياح واحدة ، وهى تدخل مكتبها ، وتبدأ يومها بمراجعة التقارير ، الواردة من (العراق) و(أفغانستان) ، وتلخيصها ؛ لتقديم ملخصاتها إلى الرئيس الأمريكى ، الذى اعتاد الاكتفاء بما تقدمه له ، دون الخوض فى التفاصيل ..

كانت طبيعتها المريضة تسعد بكل خبر ، عن مصرع أى عدد من العرب ، فى الدولتين المحتلتين ..

أو حتى فى أية بقعة من بقاع الأرض ..

وفى الوقت ذاته ، كانت تشعر بكل الغضب ، إذا ما طالعها تقرير عن إصابة جندى أمريكى واحد ..

كانت الحرب بالنسبة إليها قتالاً من طرف واحد ..

أو بمعنى أدق ، قتلاً من طرف واحد ..

كانت كأى مستعمر غاصب ، ترى أنه من حقها أن تقاتل الخصم وتقتله ، وليس من حقه حتى أن يدافع عن حريته أو كرامته ، أو حقه فى الحياة ..

مقاومة الاحتلال ، كانت بالنسبة إليها إرهابًا ..

العرب مجرد حشرات ..

أرضهم مراع ومخازن بترول للغرب ..

وفى أعمق أعماقها ، تمنت لو أن القوات الأمريكية لم تكتف باحتلال (العراق) وحدها ..

كانت تتمنى لو تجد مبررًا واحدًا ؛ ليمتد الاحتلال إلى (سوريا) ..

و(لبنان) ..

و(إيران) ..

و (مصر) ..

و ....

ارتفع رنين هاتفها الخاص بغتة ؛ لينتزعها من أحلامها الاستعمارية التوسعية ، فانتفض عقلها قبل جسدها ، وهى تلتقط الهاتف من جيبها ، وتلقى نظرة عصبية على شاشته ، قبل أن يسقط قلبها بين قدميها ..

كانت شاشة خالية ، لا تحمل بيانات المتصل ..

ولأن هاتفها من طراز خاص مؤمّن ، فقد أدركت على الفور من يمكن أن يكون على الطرف الآخر ..

وبعصبية أكثر ، ضغطت زر الاتصال ، قائلة :

- أهو أنت ؟! فى هذه الساعة المبكرة ؟!

أتاها صوت الزعيمة الساخر ، وهى تقول :

- نعم .. هو أنا يا سمرائى .. خشيت أن أتوقف عن الاتصال بك طويلاً ، فتشتاقين إلىّ كثيرًا .

كظمت وزيرة الخارجية غيظها فى صعوبة ، وهى تسألها :

- ماذا تريدين بالضبط ؟!

أجابتها الزعيمة فى سرعة :

- هدية .

ارتفع حاجبا الأمريكية ، وهى تقول فى دهشة :

- تريدين هدية ؟!

أطلقت الزعيمة ضحكة عابثة طويلة ، قبل أن تقول :

- ومن منا يرفضها يا عزيزتى ؟! ولكننى فى الواقع أحمل لك هدية .

سألتها فى حذر :

- أية هدية ؟!

صمتت الزعيمة لحظات ؛ لتضفى لمحة من التشويق على روايتها ، قبل أن تقول :

ـ ما معلوماتك عن شركة (أميجو) للإلكترونيات ؟!

تضاعف حذر وزيرة الخارجية ، وهى تجيب :

ـ ماذا عنهـا ؟! إنهـا شركة كبيـرة ومحترمـة .. نحن نعتمد عليها فى توريد وتطوير الشرائح الإلكترونية المتطوِّرة ، و ....

قاطعتها الزعيمة بضحكة عابثة ساخرة ، جعلتها تعقد حاجبيها فى غضب شديد ، قائلة :

ـ لو أن لديك شيئًا بشأنها ، فعليك إخبارى فورًا ، أو اصمتى إلى الأبد .

صمتت الزعيمـة لحظـة تشويقية أخرى ، ثم قـالت فى حزم مفاجئ :

ـ يمكنك أن تصححى اسـمها فى ملفـاتكم إذن ، إلـى شركة (أميجو) للإرهاب .

لم تكد وزيرة الخارجية تسمع المصطلح الأخير ، حتى انتفض جسدها كله فى عنف ، وهتفت :

ـ إرهـاب ؟!

أجابتها الزعيمة بصوت عميق :

ـ نعم يا سمرائى .. لو راجعت كل ملفاتكم ، فستجدين أن تلك الشركة مملوكـة لمليونـير أمريكـى من أصل مكسـيكى ، يدعـى (أميجو صاندو) .

غمغمت وزيرة الخارجية فى انفعال :

ـ هذا صحيح .

ازداد صـوت الزعيمـة عمقًـا ، وهـى تقـول ، فـى سـخرية واضحة :

ـ أخبرى جهـاز مخـابراتكم إذن أنكم فاشلون ، وأن هذا سر تفوقى عليكم .

سألتها الأمريكية فى عصبية :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابتها فى سخرية أكثر :

ـ طالعى ذلك الملف ، الذى سأرسله الآن إلـى بريدك الإلكترونى السرى ، وبعدها يمكننا أن نتحدث ثانية .

قالتهـا ، وأنهت الاتصـال دفعـة واحدة ، فتجمَّدت يـد وزيـرة الخارجيـة لحظـة على هاتفهـا ، ثم لـم تلبـث أن ألقتـه جانبًـا ، واستدارت تضغط أزرار الكمبيوتر ، وتطالع بريدها الإلكترونى السرى ..

كانت قد اعتادت هذا من الزعيمة ، فلم تتسـاءل لحظـة ، كيف عرفت بريدها الخاص ..

كل ما كان يشغل ذهنهـا ، هـو إنزال ذلـك الملـف ، المرفـق بالبريد الإلكترونى ..

ومطالعته ..

ولقد فعلت ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ، مع هول ما تطالعه ..

ولم يسقط قلبها بين قدميها هذه المرة ..

لقد تمزَّق فى أعمق أعماق صدرها ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

« أدهم صبرى ؟! »

انتفض جسد الرئيس الأمريكى فى عنف ، وهو يهتف بالاسم ، محدقًا فى وجه وزيرة خارجيته ، فى حين بدا وزير دفاعه شديد العصبية ، وهو يقول فى حدة :

– مستحيل ! أنا أعرف (أميجـو صـاندو) جيدًا ، والتقيت بـه مرتين على الأقل ، وهو لا يشبه حتى (صبرى) هذا .

أجابته وزيرة الخارجية ، فى صرامة لا تقل عنه عصبية :

– أنت تعلـم جيدًا أن خصمنـا ليس بالشخص العادى ، وأنـه عبقرى فى فن التنكُّر ، إلى حد يجعلـه قـادرًا علــى خداعـك ، لو تنكَّر فى هيئتك أنت شخصيًا ..

غمغم وزير الدفاع :

– ليس إلى هذا الحد .

أجابه مدير المخابرات الأمريكية ، فى صرامة متوترة :

– بل إلى ما يفوق هذا الحد ، كما تؤكِّد سجلاتنا .

صاحت به وزيرة الخارجية فى غضب ، وكأنما تفرغ فيه شحنة انفعالاتها المكبوتة :

ـ سجلاتكم الفاشلة ، التى سمحت لإرهابى بأن يكون أحد الممولين الرئيسيين ، للتكنولوجيا الرقمية ، لجيش الولايات المتحدة .

انتفض مدير المخابرات ، قائلاً :

ـ كل التحريات الخاصة بالسنيور (أميجو) وشركته ، تمت فى عهد سلفى ، وليس فى عهدى أنا ، ولكنها تبدو لى دقيقة للغاية ، و ...

قاطعته فى حدة :

ـ وماذا ؟! ألم تقرأ ذلك الملف أمامك ؟

همَّ مدير المخابرات بالصياح فى وجهها ، ولكن الرئيس الأمريكى استوقفه فى صرامة ، قائلاً :

ـ كفى .

التفت إليه ثلاثتهم ، فواصل :

ـ الوقت لا يكفى للغرق فى هذه النقطة .. دعونا نتجاوزها إلى السؤال الأهم : ما الذى سنفعله فى هذا الشأن ؟!

قالت وزيرة الخارجية ، فى شىء من الحدة :

ـ يا له من سؤال !

رمقها وزير الدفاع بنظرة صارمة ، وتنحنح وهو يعدّل منظاره فوق أنفه ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أنه لدينا سلسلة واضحة من الإجراءات ، يا فخامة الرئيس ، بشأن الهيئات أو الشركات ، التى يثبت تورطها فى دعم أو تمويل الإرهاب .

بدا الرئيس منتبهًا لحديثه ، فأضاف مدير المخابرات :

ـ نحن أيضًا لدينا سلسلة إجراءات مماثلة ، ولكنها أكثر سرعة وحسمًا ، ولكن ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، فسأله الرئيس فى عصبية :

ـ ولكن مـاذا ؟!

ـ ولكننى أرى ضرورة التروى .

أجاب فى سرعة :

هتفت وزيرة الخارجية مستنكرة :

ـ التروى ؟!

أشار بسبابته ، قائلاً فى توتر :

ـ بالتأكيد .. شركة (أميجو) شركة كبرى ، وكنا حتى لحظات ، نعتبرها وصاحبها أهلاً للثقة ، وعندما تصلنا بشأنها معلومات مفاجئة ، من مصدر لايمكننا منحه ثقتنا الكاملة ، فلابد وأن نتيقن مما لدينا أولاً ، قبل أن نندفع للقيام بعمل ، قد نندم عليه فيما بعد .

احتقن وجه وزيرة الخارجية ، وهى تقول فى حدة :

ـ تتيقن مما لديك ؟! إنه ملف كامل موثق يا رجل .. أضف إليه أن (أميجو) هذا قد اجتمع بقادة قسم التحريات فى شركته صباح اليوم ، وطلب منهم جمع كل التحريات الممكنة ، عن جهة تحتفظ بأربعة من المصريين ، تنطبق أوصافهم على أوصاف رفاق

(أدهم صبرى) الأربعة ، الذين تصوَّر أنهم قد لقوا مصرعهم(*) ، ثم كشف وجودهم على قيد الحياة ، هنا فى أرضنا(**) .. أى دليل تحتاج أكثر من هذا ، لتتيقن من أنه (أدهم صبرى) شخصيًّا .

تركزت الأنظار كلها على وجه مدير المخابرات ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، قبل أن يغمغم :

ـ هذا لا يتفق مع ...

قاطعه الرئيس الأمريكى هذه المرة ، بمنتهى الصرامة :

ـ اتخذ إجراءاتك .. فورًا .

تطلع إليه مدير المخابرات فى قلق ، وتساءل فى حذر :

ـ مهما كانت العواقب ؟!

اعتدل الرئيس الأمريكى على مقعده ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول بمنتهى الحزم :

(*) راجع قصة (النهاية) ... المغامرة رقم (150) .

(**) راجع قصة (الحرب) ... المغامرة رقم (154) .

ـ مهما كانت العواقب .

ران على المكتب البيضاوى صمت رهيب مهيب ، بعد عبارة الرئيس الأخيرة ، ثم لم يلبث مدير المخابرات أن قطعه ، وهو يقول فى توتر :

ـ أريد أمرًا رسميًا بهذا .

بدا القلق بضع لحظات ، على وجوه الرئيس ، ووزيرى دفاعه وخارجيته ، قبل أن يلتفت الرئيس إلى وزير الدفاع ، قائلاً فى حزم :

ـ هل تحتاج أنت أيضًا إلى أمر رسمى ؟!

تنحنح وزير الدفاع ، وشد قامته ، وهو يجيب :

ـ كلا يا فخامة الرئيس .

التقط الرئيس نفسًا عميقًا آخر ، وهو يقول ، بمنتهى الحزم والصرامة :

ـ نفِّذ إذن .

وخفق قلب مدير المخابرات ..

فى قـوة ..

★ ★ ★

من خلف تلك النافذة الكبيرة ، فى الطابق الأربعين ، وقف الرجل يتطلَّع إلى قرص الشمس ، وهو يغوص خلف ناطحات السحاب الهائلة ، فى (نيويورك) .. كان يقف فى صمت تام ، لفترة طويلة للغاية ، حتى أن المدير الإدارى (أنزيو) ، والسكرتيرة (لورا) ، شعرا بالقلق ، وتجرأت الثانية ، لتهمس فى شىء من الحذر :

ـ هل سننصرف يا سنيور (أميجو) ؟!

لدقيقة كاملة ، خُيِّل إليها أن الرجل لم يسمع حرفًا واحدًا مما قالته ، حتى أنها فكَّرت فى تكرار سؤالها ، لولا أن أجاب فى خفوت :

ـ ليس بعد .

لم تدر ، لمـاذا انهمك إلـى هذا الحد ، فـى مراقبـة غـروب الشمس ، وكأنما يشهد آخر غروب ، فى حياته كلها ..

أو لعله لم يكن يتطلع إليها على الإطلاق ..

ربما كان شاردًا ..

يفكرٌ ..

أو يتذكرٌ ..

ربمـا ..

المهم أن صمته قد طـال بعدهـا لخمـس دقـائق إضافيـة ، فقد (أنزيو) صبره بعدها فغمغم :

ـ هل من تعليمات للغد يا سنيور ؟!

ولم يلتفت إليه الرجل ..

ولكنه شعر أنه قد ابتسم ..

وربما فى سخرية ..

لم يـدر ، لمـــاذا راوده هــذا الشـــعور ، إلا أنـه سيطر على كيـانه كله ، قبـل حتى أن يسـمع لهجة الرجـل السـاخرة ، وهو يقـول :

ـ الغـد ؟!

وصمت لحظـة أخرى ، ثـم التفت إلـى (أنزيو) و(لـورا) ، مردفًا :

ـ وماذا لو لم يكن هناك غد ؟!

انتفضت (لورا) للعبارة ، وتساءلت فى قلق شديد :

ـ ولماذا تقول هذا يا سنيور ؟!

لم يكن تساؤلها هذا قد اكتمل تمامًا ، عندمـا انفتحت أبواب الجحيم كلها فجأة ..

وعلى مصراعيها ..

فدون سـابق إنـذار ، تحطـم زجـاج النـافذة الجانبيـة ، بقنبلـة دخان ، انفجرت فور ملامستها الأرض ..

ثم تم الاقتحام ، من كل المنافذ فى آن واحد ..

متسلقون بحبال قوية ، هبطوا من سقف المبنى ، ليقتحموا نوافذه بمنتهى العنف ..

رتاج الباب الرئيسى تفجّر ، برصاصات مدفع آلى قوى ..

جيش من الجنود الأمريكيين اقتحم الطابق ..

الكل يرتدى أقنعة واقية من الغاز ..

الرصاصات انهمرت كالمطر ، على سقف الحجرة ..

وفى رعب هائل ، صرخت (لورا) :

ـ ماذا حدث ؟! هل اشتعلت الحرب ؟!

صرخ (أنزيو) ، وهو يسعل فى قوة ، ويعدو محاولاً الفرار ، وسط سحب الدخان :

ـ بل هو هجوم إرهابى .. النجدة .. النجدة .

أخرسته ضربة قوية ، من كعب مدفع آلى ، انتزعته من مكانه ، وألقت به أرضًا فى عنف ..

وعندما حاول النهوض ، كان حذاء جندى أمريكى ثقيل ، يجثم على صدره ، ويكاد يزهق أنفاسه ..

وكانت هناك فوهة مدفع آلى قوى ، مصوبة إلى رأسه مباشرة .. ومع شهقة الرعب التى أطلقها ، ومن بين سحب الدخان ، شاهد فريقًا من الجنود ينقض على رئيسه ..

على (أميجو) ..

وبكل رعبه صرخ :

ـ احترس يا سنيور .

أخرسته ضربة أخرى ، من حذاء الجندى ، أفقدته الوعى على الفور ..

أما (أميجو) نفسه ، فلم يتحرك من مكانه ..

لقد عقد كفيه خلف ظهره ، ووقف فى حزم ، والجنود يلتفون حوله ، التفافة السوار بالمعصم ، ويصوبون إليه فوهات مدافعهم الآلية القوية ، فى دائرة رهيبة ..

دائرة موت ..

كاملة ..

★ ★ ★

3- الأسـير ..

« الأمريكيون ألقوا القبض عليه .. »

نطقت (تيا) العبارة فى جذل ، وهى تقف أمام الزعيمة ، التى نفثت دخان سيجارتها الرفيعة فى قوة ، قبل أن تجيب :

- أعلم هذا .

نطقتها فى عصبية ، جعلت (تيا) تحدّق فيها بدهشة ، متسائلة :

- أيزعجك الخبر ؟!

صمتت الزعيمة بضع لحظات ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، قبل أن تجيب ، فى عصبية أكثر :

- بل يحيرنى .

غمغمت (تيا) فى دهشة :

- يحيّرك ؟! ولماذا ؟!

انعقد حاجبا الزعيمة ، وهى تجيب :

- البساطة التى تم بها الأمر .. إننا نتحدث عن رجل لم يعتد قط الاستسلام لمهاجميه ، حتى لو واجه جيشًا جرارًا بمفرده ، ولديه

سرعة بديهة وسعة حيلة ، تجعله قادرًا على تحوير دفة القتال لصالحه ، مهما اختلّ ميزان القوة ، فلماذا استسلم هذه المرة ؟! لماذا ؟!

أجابتها (تيا) فى حذر :

ـ إننا نتحدث عن هجوم قامت به فرقة مكافحة إرهاب كاملة ، ضد رجل واحد .

ثم مالت نحوها ، مضيفة ، بلهجة ذات معنى خاص :

ـ رجل أعزل .

تطلّعت إليها الزعيمة بضع لحظات بنظرة خاوية ، قبل أن تنفث دخان سيجارتها فى وجهها ، وتقول فى حزم :

ـ هذا لا يصنع فارقًا .

حدّقت فيها (تيا) فى دهشة ، قبل أن تتراجع ، قائلة فى حيرة واضحة :

ـ يبدو أنك ترين ما لا أراه أيتها الزعيمة .

غمغمت الزعيمة فى حزم :

ـ هذا أمر طبيعى .

ثم اعتدلت ، مضيفة فى حزم :

ـ أريد متابعة التحقيقات الأمريكية فى هذا الشأن .. أريد أذنًا وعينًا فى قلب إدارة تحقيقاتهم السرية .

قالت (تيا) ، فى سرعة وحزم :

ـ عُلِمَ وينفذ .

تحرّكت فى سرعة لتنفيذ الأمر ، ثم توقفت ، والتفتت إلى زعيمتها ، متسائلة فى حذر :

ـ هل ترغبين فى التخلُّص من ذلك المصرى هناك ؟! ما دام فى قبضتهم ، يمكننا أن ندفع أحدهم إلى ...

قاطعتها الزعيمة فى حزم :

ـ كلا .. لا أريدهم أن يمسوه بسوء .

ارتفع حاجبا (تيا) ، وهى تقول فى دهشة :

ـ تصوَّرت أنك تبغضينه بشدة ، و ....

لم تستطع إتمام عبارتها ..

أو أنها لم تحاول هذا ..

وفى بطء ، نفثت الزعيمة دخان سيجارتها ، وهى مستغرقة فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن تهزّ كتفيها ، قائلة :

ـ لست أبغضه بالتأكيد .

ثم مالت إلى الأمام ، مستطردة فى صرامة :

ـ ولكننى لن أسمح له بالتفوق .. أبدًا ..

ولم تعلّق (تيا) هذه المرة ..

لقد استوعبت تلك المشاعر المعقدة ..

جيدًا ..

★ ★ ★

بدا وزير الدفاع الأمريكى شديد التوتر ، وهو يدخل إلى تلك الحجرة الصغيرة ، الخالية من الأثاث ، إلا من منضدة ومقعدين من الخشب ، جلس على أحدهما سنيور (أميجو) ، وخلفه اثنان من الجنود الأمريكيين ، يصوّبان مدفعيهما إلى رأسه مباشرة ..

وعلى الرغم من هذا ، كان الرجل هادئًا ، متماسكًا ، يعقد ساعديه القويين أمام صدره فى حزم أطلّ واضحًا من كل ملامحه ، على عكس وزير الدفاع ، الذى يرأس كل تلك القوات ، والذى بدا مرتجفًا ، مفتقرًا إلى الثقة بالنفس ، وهو يجلس على المقعد الخشبى المواجه للرجل عبر المنضدة ، قائلاً :

ـ سنيور (أميجو) .

تطلّع إليه الرجل بنظرة قوية ، وهو يسأله ، فى صوت متماسك :

ـ هل لى أن أفهم معنى كل ما حدث ؟! لقد هاجمتم شركتى ، وأسأتم إلى سمعتها وسمعتى ، وعرضتم حياتى ، وحياة عدد من موظفى الشركة للخطر ، فلابد من وجود سبب قوى للغاية ، يبرّر هذا .. أمام الرأى العام ورجال الإعلام والصحافة على الأقل ..

أثار ذكر الإعلام والصحافة توتر وزير الدفاع الأمريكى أكثر ، فتراجع فى مقعده الخشبى ، وتطلّع إلى (أميجو) ، بكل الحيرة والانفعال ..

لم يكن يشبه (أدهم صبرى) ، بأى حال من الأحوال ..

ربما يشترك معه فى قوة البنية ، وطول القامة ، إلا أنه يختلف عنه ، فى كل ما عدا هذا من ملامح ..

فالسنيور (أميجو) أشيب الشعر ، يميل إلى الصلع ، فى مقدّمة رأسه ، وله شارب كث ، وطابع حسن فى منتصف ذقنه ، و .....

ولكن (أدهم) خبير فى التنكُّر ..

بل هو عبقرى فى ذلك المضمار ..

وكل هذا يمكن افتعاله ..

الشعر ..

الصلع ..

الشارب ..

وحتى لون العينين ..

كل هذا ..

ولكن ماذا عن تلك الثقة الشديدة ، التى يتحدَّث بها ؟!

« من أنت بالضبط ؟! »

ألقى وزير الدفاع السؤال فى عصبية مفاجئة ، فتطلَّع إليه (أميجو) فى سخرية ، مجيبًا :

ـ (أميجو صاندو) .. هل نسيتنى يا سيادة وزير الدفاع ، أم أنك تختبر معلوماتى ؟!

شعر وزير الدفاع بالحنق ؛ لسخرية الرجل منه ، فسأله فى حدة وصرامة :

ـ وما الذى يثبت هذا ؟!

فوجئ بضحكة ساخرة طويلة ، أطلقها (أميجو) هذا ، قبل أن يجيب فى تهكُّم :

ـ إنها المرة الأولى ، التى تطالبنى فيها جهة رسمية ، بإثبات حقيقة هويتى ، ولكننى أعتقد أن هويتى غير القابلة للتزوير ، ورخصة القيادة أيضًا ، مع هيئتى المشابهة لصورتى فيهما ، كلها تؤكِّد أننى (أميجو صاندو) .

قال الوزير فى خشونة :

ـ هذا لا يكفى .

تطلَّع إليه (أميجو) بضع لحظات فى صمت ، ثم مال نحوه ، متسائلاً فى ضجر :

ـ ما الذى يكفى إذن ؟!

التقط وزير الدفاع الأمريكى نفسًا عميقًا ، وحاول أن يبدو متماسكًا قويًا ، وهو يجيب :

ـ سنفحص وجهك بالأشعة فوق البنفسجية ، ونحصل على عينة من دمك ، ومن حمضك النووى ، و .....

قاطعه (أميجو) فى دهشة :

- ولماذا كل هذا ؟!

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يجيب :

- لأننا مستعدون لفعل أى شىء فى الوجود ؛ لنحمى (أمريكا) من الإرهاب .

اعتدل (أميجو) ، قائلاً فى حزم :

- وأى تجاوز .. أليس كذلك ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يقول :

- بلى .. وأى تجاوز .. أيًا كان ..

ران عليهما صمت متحد بضع لحظات ، قبل أن يمد (أميجو) ذراعه إلى الوزير ، قائلاً :

- افعل ما شئت إذن .

قالها ، وهو يدرك أن نتائج تلك الاختبارات ، ستحسم أمورًا كثيرة .

وخطيرة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« لست أفهم ما يحدث .. »

نطق نائب مدير المخابرات المصرية العبارة فى حذر شديد ، جعل المدير يبتسم ، قائلاً :

- ما الذى لم تفهمه بالضبط ؟!

أشار الرجل بيده ، قائلاً ، فى لهجة عجز عن كتمان توترها :

- كل ما يحدث منذ البداية .

تطلَّع إليه المدير بابتسامته فى صمت ، واتكأ على مسند مقعده ، وهو يسأله فى هدوء :

- ولمـــاذا ؟!

حار الرجل بضع لحظات فى الجواب ، ثم لم يلبث أن اندفع ، قائلاً :

- كلنا كنا نعلم أن العميد (أدهم) سيسعى حتمًا ؛ لاستعادة (منى) و(قدرى) ، وتلميذيه (شريف) و(ريهام) ، وأنه لا مفر له من الولوج إلى وكر الذئاب ، فى قلب الولايات المتحدة الأمريكية ؛ للبحث عنهم ، ولكننا تصورنا أنه ، مع خبراته الطويلة ، وقدراته المدهشة ، سيفعل هذا بوسيلة عبقرية ومستترة ، وسيثير جنون الجميع هناك ، كما اعتاد أن يفعل .

أدهشه أن اتسعت ابتسامة المدير ، وهو يقول :

ـ ثم ؟

تابع الرجل ، فى شىء من الانفعال ، حاول كتمانه ، باعتباره رجل مخابرات محترفًا :

ـ ثم حدث العكس تمامًا .. العميد (أدهم) بدأ المعركة بأوراق مكشوفة ، فى الوقت الذى تتعامل فيه (أمريكا) كلها بحساسية مفرطة ، تجاه كل ما هو عربى ، وأثار انتباه وتوتر الجميع ، ودفعهم إلى الهجوم على الشركة ، التى كانت أفضل مراكزنا الغربية ، لسنوات وسنوات .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

ـ لاحظ أنه هو الذى أنشأ تلك الشركة ، والتى جاهد ليصنع منها ما أصبحت عليه ، دون أن يربح منها قرشًا واحدًا .

قال الرجل فى سرعة :

ـ هذا لا يمنحه الحق فى هدمها وقتما يشاء .. الشركة أصبحت ملكًا لـ (مصر) ، ومصلحتها وحدها ينبغى أن تحكم هذا ..

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول :

ـ أنت على حق .

ثم اعتدل ، مكملاً فى اهتمام :

ـ ولكن التقارير الأخيرة كانت تشير إلى أن تلك الزعيمة الغامضة تجمع التحريات ، حول شركة (أميجو) للإلكترونيات ، منذ فترة ليست بالقصيرة ، وهذا يعنى أن الكيان كان مهدَّدًا بكشف سره ، إن عاجلاً أو آجلاً .

مال الرجل نحو المدير ، قائلاً :

ـ وهل يمنحه هذا الحق فيما فعل ؟

تطلَّع المدير إلى عينيه بضع لحظات ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، قائلاً فى هدوء :

ـ وما الذى فعله ؟

اعتدل الرجل بحركة حادة ، وامتلأت ملامحه بالدهشة ، وهو يحدِّق فى المدير ، قبل أن يقول :

ـ سيدى .. من الواضح أنه هناك ما نجهله فى هذا الشأن .

هزَّ المدير كتفيه ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ لست أعرف عن (ن ـ 1) أكثر مما تعرفونه .

وصمت لحظة ، وقف خلالها أمام النافذة ، قبل أن يضيف ، دون أن يلتفت إلى نائبه :

ـ وما أعرفه يكفينى ، لكى أتيقن من أمر واحد لاخلاف عليه .

طال صمته لدقيقة كاملـة ، شعر نائبـه خلالها بفضول يلتهم أعصابه ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ إن (ن ـ 1) ليس ساذجًا أو بسيطًا .

هتف النائب :

ـ ما الذى فعله إذن ؟!

أجاب المدير بسرعة :

ـ منـــاورة ؟!

ردَّد النائب فى دهشة :

ـ منـــاورة ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، والتفت إليه ، مجيبًا فى حزم :

ـ نعم .. مناورة عبقرية .. مناورة فعل عبرها ما يفعله دومًا .. أن يدفع خصومه إلى إتيان مايريد ، ومايخدم خطتـه ، وهم يتصورون أنهم يتحركون بإرادتهم الحرة .. إنه يعلم أنهم سينتظرونه بتحفز هناك ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنهم سينقضون عليـه فور الاشتباه فى أمره ، ولاريب عندى فى أنه قد وضع هذا فى حسبانه .

وصمت لحظة ، ثم أضاف مبتسمًا :

ـ وفى خطته .

تساءل النائب فى اهتمام ، وقد بدأ يلهث ، من فرط ما سرى فى عروقه من انفعال :

ـ وما الذى تعتمد عليه خطته بالضبط ؟!

أجاب المدير فى سرعة :

ـ على كل اعتمدت عليه خططه دومًا .

وعاد يتطلَّع عبر النافذة ، مضيفًا بكل الحزم :

ـ الصدمة .

وانتفض نائب المدير ..

انتفض بكل انفعاله ..

وكل دهشته ..

* * *

على الرغم من سيطرتهم الكاملة على الموقف ، بدا أعضاء إدارة الرئيس الأمريكى شديدى التوتر ، عندما اجتمعوا فى المكتب البيضاوى ، فى منتصف الليل ، بتوقيت العاصمة (واشنطن) ..

كان مدير المخابرات عصبى للغاية ، وهو يشير بيده قائلاً :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. اقتحام أحمق ، اعتمد على القوة ، بأكثر مما اعتمد على الذكاء أو الحنكة .. عمل يفتقر تمامًا إلى أى حس سياسى أو إعلامى .

عدَّل وزير الدفاع منظاره فوق أنفه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لا مجال للسياسة فى مثل هذه الأمور .. إننا نواجه تنظيمًا إرهابيًا .. كيف تتطلب منا أن نواجهه دون قوة باطشة ؟!

هتف مدير المخابرات :

ـ أنت قلتها .. قوة باطشة .. غبية .. متغطرسة .. قوة أرادت أن تثبت تفوقها ، دون أن يضع فى اعتبارها احتمالاً واحدًا ، أن تكون على خطأ .

قالت وزيرة الخارجية فى حدة :

ـ لا يوجد احتمال واحد .

هتف مدير المخابرات :

ـ ولا يوجد مبرر واحد أيضًا لما حدث .

احتقن وجهها ، وهى تقول فى غضب :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

لوَّح بذراعه فى حدة ، هاتفًا :

ـ اعتقادى لا قيمة له ، فوسائل الإعلام كلها لديها معتقدات أخرى .. إنهم يتحدثون عن منافسة مالية ، كانت وراء ما حدث فى شركة (أميجو) .. إنهم يتهمونك شخصيًا يا وزير الدفاع .

انتفض جسد الوزير فى غضب ، وهو يهتف :

ـ أنا ؟!

أجابه مدير المخابرات فى غضب :

ـ نعم .. أنت أيها الوزير .. الكل يعرف علاقتك بتلك الشركات المنافسة ، التى تسعى طوال الوقت ؛ لهدم شركة (أميجو) ؛ لتحتل محلها ، كمورِّد رئيسى لوزارة الدفاع ، وفضائح شركة (أترون) ، ما زالت تزكم الأنوف ، حتى يومنا هذا ، و ....

قاطعه الرئيس فى عصبية :

ـ كفى .. الصحافة لا يمكن أن تقفز إلى هذا .

قال مدير المخابرات فى حنق :

ـ لقد قفزت بالفعل .

ثم أدار عينيه إلى الرئيس الأمريكى ، مضيفًا :

ـ وقفزتها وصلت إليك يا سيدى .

جاء دور الرئيس ، لينتفض بمنتهى العنف ، هاتفًا :

ـ أنا ؟! مستحيل !

عضت وزيرة الخارجية شفتيها غيظًا ، وهى تقول :

ـ فى (أمريكا) ، لا يوجد مستحيل !

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يحدّق فيها بهلع ، فأضافت فى صرامة ، امتزجت بعصبيتها :

ـ ولكننا نستطيع إخراس كل الألسنة .

سألها الرئيس الأمريكى فى لهفة :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابت بمنتهى الصرامة :

ـ بالحقائق .

تطلّع إليها الكل فى تساؤل ، فأردفت ، وهى تبذل جهدًا يفوق المألوف ؛ لتبدو أمام ثلاثتهم قوية متماسكة :

ـ عندما تظهر النتائج ، ونثبت أن (أميجو) هذا ليس مكسيكيًا ، وأنه عربى ينتحل هوية مكسيكية ، سيسهل علينا بعدها إقناع الرأى العام بتورط شركته فى أعمال مموّلة للإرهاب .

هتف وزير الدفاع ، وكأنما تعلق بكلماتها :

ـ وعندئذ ، سيرون ما فعلناه بها على نحو مختلف تمامًا .

أضافت وزيرة الخارجية فى عصبية :

ـ نعم .. سنصبح فى نظرهم أبطالاً .

غمغم الرئيس فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أطلق مدير المخابرات زفرة ملتهبة ، من أعماق صدره ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ كم أتمنى لو أننى أمتلك نصف تفاؤلكم ، ولكننى فى الواقع أرى الصورة على نحو مختلف تمامًا .

سأله الرئيس ، فى حذر قلق :

ـ ما الذى تراه بالضبط ؟!

صمت مدير المخابرات لحظة ، أدار خلالها عينيه فى وجوه ثلاثتهم ، قبل أن يجيب فى حزم صارم :

ـ كارثة .

انعقد حاجبا وزيرة الخارجية فى غضب ، وعدَّل وزير الدفـاع منظاره فى عصبية ، فى حين غمغم الرئيس ، بكل توتر الدنيا :

ـ كارثة ؟!

أجاب مدير المخابرات ، فى حزم متوتر :

ـ بالتأكيد ، فكل خبراتى تؤكِّد أن خصمنا ليس بالسـذاجة التـى تتصورونها .

قالت وزيرة الخارجية فى حدة :

ـ لقد باغتناه .

هتف مدير المخابرات :

ـ هيهات .. مئات من المحترفين تصوَّروا هذا ، وحلمـوا بـه ، واقتنعوا بضع لحظات ، أو حتى عـدة أيام ، إنهم قد نجحوا فـى هذا ، إلا أن أحدهم لم ينعم بالانتصار عليه قط .

قال وزير الدفاع فى حدة :

ـ إنه مجرد بشر .

لوَّح مدير المخابرات بذراعه ، قائلاً :

ـ ولكنه كسر أنوف عمالقة ، وحطَّم منظمات وأنظمـة هائلـة ، تصوَّرت كلها أنـه مجرد فرد واحـد ، يمكنهـا أن تجـدع أنفـه بسبَّابتها ، فدفن هو كياناتها كلهـا فـى التراب ، وبقـى ليبصـق عليها أيضًا .

هتفت وزيرة الخارجية هذه المرة :

ـ كفى .

همَّ الرئيس بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف الخـاص بوزير الدفاع ، فالتقطه من جيبـه فـى سرعة ، ورفعه إلـى أذنـه ، وعيونهم كلها تتطلَّع إليه ، مع نبضات عنيفة صرخت بها قلوبهم ..

ولم ينطق الوزير حرفًا واحدًا ..

فقط استمع ..

وشحب ..

وامتقع ..

ثم أنهى المحادثة ، وهو يرفع إليهم عينين زائغتين ، قائلا فـى صوت متحشرج مختنق :

ـ إنه ليس (أدهم صبرى) .

وشهقت وزيرة الخارجية بمنتهى العنف ..

لقد كان مدير المخابرات الأمريكى على حق ..

إنها كارثة ..

بكل المقاييس .

★ ★ ★

4- اللعبـــــة ..

« مازلت لا أفهم اللعبة ! »

هتف نائب مدير المخابرات المصرية بالعبارة فى انبهار كامل ، وهو يقف أمام المدير ، فى تلك الساعة المبكرة ، من صباح اليوم التالى ، بتوقيت (القاهرة)(*) ، فابتسم هذا الأخير ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- من الجيد أن تعترف بأنها لعبة ماهرة .

قال الرجل فى انفعال :

- ولكننا جميعًا نجهل مغزاها .. لماذا تعمَّد العميد (أدهم) جذب الأنظار كلها إلى شركتنا ، ثم وضع بديله ، الذى دربناه طويلاً فى المواجهة ؟!

هزَّ المدير كتفيه ، قائلاً :

- الأمر يبدو لى واضحًا للغاية !

ضاقت عينا النائب ، وهو يقول :

(★) وفقًا لخطوط الطول الجغرافية ، يسبق التوقيت فى (القاهرة) (واشنطن) بسبع ساعات كاملة .

ـ إننا نفهم لعبة الشد والجذب هذه ؛ فبعد الفضيحة الكبرى ، التى ستتعرض لها الإدارة الأمريكية ، لن يجرؤ أحد على الشك فى هوية الشركة ، أى أنه ، بلعبة الجذب ، ثم إثبات الخطأ ، ثبت أقدام شركة (أميجو) ، سواء فى وزارة الدفاع الأمريكية ، أو عبر الرأى العام كله .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما أكد أيضًا ، عبر الفحوص التى أجرتها الإدارة الأمريكية ، بأحدث التقنيات وأدقها ، أن سنيور (أميجو صاندو) لايمكن أن يكون (أدهم صبرى) .

أومأ النائب برأسه موافقًا ، قبل أن يقول :

ـ كل هذا لأمر رائع ، ولكن السؤال هو : لماذا ؟!

عاد المدير يشير بسبابته ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذه هى اللعبة بالضبط .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا :

ـ التساؤل والحيرة .

قالها ، وأطلق ضحكة إعجاب قصيرة ، ثم عاد يتراجع فى مكتبه ، ويضيف فى استمتاع :

ـ وأنا أفترض أن تقوموا بتسجيل ودراسة هذه الخطة هنا ؛ للاستفادة من قواعدها مستقبلاً ، فى ظروف مماثلة .

صمت النائب بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن تتألق عيناه ، ويقول فى حماس :

ـ آه .. الآن استوعبت قاعدة اللعبة .

وتألقت على وجهه ابتسامة ، وهو يضيف :

ـ قاعدة الإرباك .

وهنا ، اتسعت ابتسامة مدير المخابرات المصرية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

لم تشعر (تيا) ، فى حياتها كلها بالدهشة ، مثلما شعرت بها فى تلك اللحظة ، التى استقبلت فيها زعيمتها الخبر ..

إنها لم تبد مصدومة بالنتيجة ، وكأنها كانت تتوقعها ..

ولكن شيئًا ما فى كيانها ارتج ..

وبعنف ..

لقد استقبلت الخبر بنظرة خاوية ، وملامح جامدة ، وتراجعت فى مقعدها فى بطء شديد ، كعادتها كلما انشغل عقلها فى فكرة شديدة العمق ..

وبقيت تلك السيجارة الرفيعة مشتعلة بين أصابعها ..

ظلَّت مشتعلة ، تحترق ..

وتحترق ..

وتحترق ..

حتى لامست أصابعها ..

عندئذ فقط ، انتفضت ..

واعتدلت ..

وصرخت ..

لم تحمل صرختها من الألم ، قدر ما حملته من الغضب .. والثورة ..

والسخط ..

وبكل دهشتها ، وحيرتها ، وحذرها أيضًا ، غمغمت (تيا) :

ـ أظنك كنت تتوقعين هذا .

ألقت الزعيمة بقايا سيجارتها بعيدًا فى عنف ، وهى تقول فى حدة واضحة :

ـ لم أشك فيه لحظة واحدة .

غمغمت (تيا) :

ـ لماذا إذن ؟

التقى حاجبا الزعيمة ، فى غضب هادر ، وبدت أصابعها مرتجفة ، وهى تشعل سيجارة جديدة ، قبل أن تقول فى حدة :

ـ نعم .. هذا هو السؤال .. لماذا إذن ؟!

ثم نهضت من مقعدها بحركة حادة ، مكرِّرة فيما يشبه الصراخ :

ـ لماذا إذن ؟!

ضغطت أزرار الكمبيوتر بحركة عصبية ، فقفزت إلى شاشته صورة (أدهم صبرى) ، وهى تواصل فى عصبية :

ـ (أدهم) أدار اللعبة لهدف ما .. إنه لم يجذب الأنظار كلها إلى شركة (أميجو) دون طائل .. هناك حتمًا هدف ما ، خلف كل هذا ، فما هو ؟!

مرة أخرى ، نسيت تلك السيجارة المشتعلة بين أصابعها ، وهى تصرخ :

ـ ما هو ؟!

تراجعت (تيا) خطوتين ، فى دهشة عارمة ، وهى تحدّق فى زعيمتها ، التى بدت عصبية ، على نحو لم تشهده من قبل قط ..

الزعيمة نفسها ، راحت تدور فى المكان ، فى عصبية بالغة ، وهى تتوقف ، كل حين وآخر ، لتتطلع إلى صورة (أدهم) ، فى مقت مدهش ، ثم تصرخ فى حدة :

ـ ماذا تفعل بالضبط ؟!

تمتمت (تيا) ، محاولة تهدئة الموقف :

ـ ربما أراد تشتيت انتباهنا ، عن أمر آخر .

توقفت الزعيمة دفعة واحدة ، عند هذا القول ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، ثم التفتت إلى (تيا) بحركة حادة ، جعلت هذه الأخيرة تتراجع خطوتين أخريين ، وهى تقول مرتبكة :

ـ إنه مجرد اقتراح .

هتفت بها الزعيمة :

ـ بل هى فكرة .. فكرة عبقرية .

بدت شديدة الانفعال ، وهى تندفع نحو (تيا) ، وتمسك كتفيها ، على نحو شهقت له هذه الأخيرة ، ثم تقول فى حرارة :

ـ هذا ما كان يفعله بنا (أدهم) بالضبط .. كان يشتت انتباهنا .. يجذبنا جميعًا إلى منطقة بعيدة ، بحيث يعمل هو فى أمان ، فى منطقة أخرى .

اتسعت عينا (تيا) ، فى شىء من الهلع ، وهى تهتف :

ـ منطقة أخرى .

أدركت الزعيمة ما تعنيه على الفور ، فأمسكت ذراعها فى قوة ، هاتفة فى انفعال :

ـ هل تعتقدين أن ....

لم تتم هتافها وتساؤلها ، ولكن (تيا) أجابت فى سرعة ، لا تقلّ انفعالاً :

ـ هذا يتوقف على إجابة سؤال واحد .

وحمل صوتها كل توترها ، وهى تضيف :

ـ هل يمكن أن يتوصّل ، إلى حيث أخفيناهم ؟!

اتسعت عينا الزعيمة ، وهى تجيب :

ـ لن يدهشنى هذا .

تطلّعت كل منهما إلى عينى الأخرى بضع لحظات ، قبل أن تتراجع الزعيمة بحركة حادة ، وهى تقول :

ـ ولكنه يغضبنى بشدة .

التقطت (تيا) هاتفها المحمول فى سرعة ، وهى تقول فى توتر :

ـ سأتأكد من أنهم ..

استوقفتها الزعيمة فى صرامة :

ـ كلاً ..

ثم مالت نحوها ، مضيفة ، بلهجة آمرة صارمة :

ـ الاتصالات الهاتفية لا تصلح ، فى مثل هذه الأمور ، وبخاصة مع رجل مثله ، يمتلك أكثر حنجرة مرونة فى التاريخ ، وحتى الاتصال المرئى لن يفيد ، مع عبقريته فى التنكر .

سألتها (تيا) ، فى فضول مبحوح :

ـ ماذا إذن ؟!

أجابتها بكل صرامة :

ـ الاتصال المباشر .

لوهلة ، لم تفهم (تيا) ما تعنيه ، فتطلعت إليها فى شىء من الحيرة ، ولكن الزعيمة أضافت على الفور :

ـ اذهبى بنفسك .. فورًا .

شدت (تيا) قامتها ، قائلة فى حزم :

ـ كما تأمرين يا زعيمتى .

قالتها ، واندفعت لتنفيذ الأمر ، فى حماس واضح ، ولكن الزعيمة استوقفتها ، قائلة فى حزم :

ـ (تيا) .. لا تذهبى وحدك .. اصطحبى معك خمسة من أقوى رجالنا على الأقل ، واتخذوا كل الاحتياطات اللازمة .

ثم قسا صوتها مع ملامحها ، وهى تضيف :

ـ لن أسمح له بالتفوّق هذه المرة .. هل تفهمين يا (تيا) ؟!

تطلّعت إليها (تيا) لحظة فى صمت ، ثم أجابت بمنتهى الحزم :

ـ أفهم .. أفهم أيتها الزعيمة .

قالتها ، وانطلقت لتنفيذ الأوامر ، تاركة زعيمتها خلفها ، وهى تشعل سيجارة جديدة ، فى انفعال ملحوظ ، وعقلها يتساءل ، مع ماتنفثه من دخان سيجارتها ..

ترى هل كشفت بالفعل لعبة (أدهم) ؟!

هل ؟!

* * *

« الأمر ليس بهذه البساطة .. »

نطق (أميجو) العبارة فى صرامة ، خفق معها قلب وزير الدفاع الأمريكى ، فازدرد لعابه فى توتر ، وهو يقول :

ـ المفترض كوطنى مخلص ، أن تسمح بمروره بهذه البساطة يا سنيور (أميجو) ، فما فعلنا ما فعلناه ، إلا لأننا تصورنا أن أمن (أمريكا) القومى فى خطر .

أجابه (أميجو) فى سخرية :

ـ أمن (أمريكا) القومى ؟! أتتصوَّر نفسك فى لقاء إعلامى يا رجل ، حتى تتحدث عن هذه التفاهات ، التى لاتؤمن أنت نفسك بها ؟! إنكم لم تتحركوا أو تتصرفوا ، بكل هذه الوحشية ، من أجل أمن (أمريكا) أو غيرها .. لقد أقدمتم على هذا ، من منطلق

إثبات القوة ، وغطرسة البطش فحسب .. كل ما أردتموه هو أن تصنعوا منى عبرة ، لكل من تنقلبون عليه .. أردتم توصيل رسالة ، تقول : إن مكافحة الإرهاب صارت حجة قوية ، لتجاوز كل القوانين ، وتحطيم كل القوى المنافسة ، وكسر أنف كل الخصوم ، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض .

ازدرد الوزير لعابه مرة أخرى ، وبذل جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على أعصابه وانفعالاته ، وهو يقول :

ـ أظنك تبالغ ، فى نظرتك للأمور يا سنيور .

هزَّ (أميجو) كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما .. دعنا نستشر رجال الصحافة والإعلام فى هذا الشأن .

أجابه الوزير فى خشونة :

ـ ومن يرغب فى تدخُّل هؤلاء الأوغاد .

قال (أميجو) فى صرامة :

ـ أنـا .

زفر الوزير فى عصبية ، ومرة أخرى ، جاهد ليسيطر على أعصابه ، وهو يقول متزلفًا :

ـ اسمع يا سنيور (أميجو) .. لقد استشرت الرئيس فى هذا الشأن ، ونحن مستعدون لتحمل تكاليف كل الأضـرار ، التى أصابت شركتك ، سواء المادية ، أو حتى المعنوية .. سنمنحك امتيـازات جديدة ، ليس فى وزارة الدفـاع فحسب ، ولكن فى إدارات الطيران المدنى ، والطرق ، وشبكة الاتصالات أيضًا . وسنعلن رسميًّا أن ما حدث كان نتيجة خطأ من أحد رجال الأمن ، وسنجد كبش فداء حتمًا ، وسنعمل على معاقبته ، ونقله إلـى (ألاسكا)(*) ، وسيرد لك هذا كرامتك واعتبارك ، و ...

صمت لحظة ، ثم مال نحوه ، مضيفًا :

ـ ويمنحك مزيدًا من الأرباح أيضًا .

تراجع (أميجو) فى مقعده ، وهو يرمقه بنظرة صامتـة ، فأضاف فى شىء من العصبية :

ـ والرئيس يصرّ على الحصول على جوابك فورًا ، قبل أن تخرج من هنا ، وتواجه جيوش الصحفيين ، الذين يحاصرون المكان .

ابتسم (أميجو) فى سخرية ، قائلاً :

(*) ألاسكا : ولاية شمال غرب أمريكا الشمالية ، أصبحت الولاية الأمريكية التاسعة والأربعين ، عام 1958م ، الأسماك هى المورد الرئيسى لسكانها ، ويليها الذهب ، والفحم ، والبلاتين ، والصفيح ، والأنتيمون ، وقديما كان أهم مواردها تجارة الفراء .

ـ وماذا لو أننى أرغب فى التفاوض ؛ لنيل المزيد من الامتيازات ؟!

قال الوزير فى حدة :

ـ ما عرضته عليك ، هو أقصى ما سمح لى سيادة الرئيس بمنحه ، و ....

قاطعه (أميجو) فى حزم :

ـ دعنى ألتقى به شخصيًّا إذن .

حدّق وزير الدفاع فى وجهه بدهشة ، قبل أن يغمغم مستنكرًا :

ـ تلتقى به ؟!

قال (أميجو) ، فى حزم أكثر :

ـ إننى أصرّ ..

التقى حاجبا وزير الدفاع الأمريكى فى شدة ، وهو يرمقه فى مقت ، قبل أن ينهض من مقعده بحركة حادة ، ويتجه إلى ركن الحجرة ، حيث أولاه ظهره ، وعقد كفيه خلفه ، وهو يقول ، بمنتهى الصرامـة والحدة :

ـ ترى هل تدرك أن المشكلة واحدة فى الحالتين ؟!

سأله (أميجو) فى هدوء :

ـ أى حالتين ؟!

أجابه الوزير ، دون أن يلتفت إليه :

ـ الأمر يتساوى بنا ، أمام الصحافة والإعلام ، عندما نتورط فى محاولة تفسير هجومنا على شركتك ، أو ....

صمت لحظة ، ثم استدار إليه ، مكملاً فى صرامة متحدية :

ـ أو تبرير خطأ مقتلك ، أثناء ذلك الهجوم .

انعقد حاجبا (أميجو) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ أتهديد هذا ؟!

التفت إليه الوزير بجسده كله ، وهو يقول :

ـ بل تحذير .

لثوان ، تطلَّع كل منهما إلى عينى الآخر فى تحد ، قبل أن يقدم (أميجو) فجأة على أغرب تصرف فى الدنيا ..

لقد انفجر فجأة ضاحكًا ..

وبمنتهى السخرية ..

والقـوة ..

وبكل الدهشة والغضب والتوتر ، حدَّق فيه الوزير ، حتى هزَّ هو رأسه ، فى استمتاع عجيب ، وهو يقول بالإسبانية :

ـ يا له من عبقرى ؟!

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى عصبية :

ـ مـاذا ؟!

لوَّح (أميجو) بيده ، قائلاً :

ـ لا عليك .. فقط تذكَّرت أمرًا نسيته أنت .

سأله بكل عصبيته :

ـ وما هو ؟!

تراجع (أميجو) فى مقعده الخشبى ، فى ثقـة مدهشـة ، وهو يجيب ، بلهجة ملؤها السخرية :

ـ الإعلام يعلم بالفعل أننى قد خرجت من شركتى سالمًا ، عقب الاقتحام الغادر ... أحد الماكرين أبلغ قناة (سى . إن . إن) بما سيحدث ؛ فأرسلوا مصورًا ، نقل وقائع الاقتحام بالكامل ، وهذا يعنى ...

قاطعه الوزير بزمجرة وحشية ، وهو يسأله :

ـ من أخبرك بهذا ؟!

هزّ (أميجو) ، كتفيه مجيبًا فى هدوء ، دون أن يبدو متأثرًا بغضب وعصبية الوزير :

ـ من الواضح أنه هناك فجوة كبيرة فى نظامكم ، تتسرّب منها المعلومات .

زمجر الوزير ، على نحو أكثر وحشية ، وهو يمسك ياقته فى عنف ، مكرّرًا سؤاله :

ـ سألتك : من أخبرك ؟! وكيف ؟!

أزاح (أميجو) يده فى صرامة ، قائلاً :

ـ وأنا أجبت تساؤلك .

بدا الوزير أكثر عنفًا وشراسة ، وهو يقول :

ـ ليس من العسير ، فى ظروف كهذه ، أن أستوعب فكرة تسرُّب المعلومات إلى الخارج ، ولكن من المستحيل أن أتقبل تسرُّبها إلى الداخل .

كرَّر (أميجو) فى حذر :

ـ إلى الداخل ؟!

هتف بكل انفعاله :

ـ أحدهم أبلغك هنا ، بأمر مصوِّر الـ (سى . إن . إن) ، فكيف حدث هذا ، وأنت داخل حجرة مراقبة طوال الوقت ؟!

ابتسم الرجل ابتسامة مستفزة ، لو أننى أخبرتك أنه لم يخبرنى أحد .

صاح الوزير :

ـ كيف عرفت إذن ؟!

مال (أميجو) نحوه ، وغمز بعينه ، قائلاً :

ـ يمكنك أن تقول إنها لمحة عبقرية .

احتقن وجه الوزير ، وهو يتطلّع إليه فى غيظ شديد ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ من المستحيل أن يأتى الرئيس إلى هنا .

هزّ (أميجو) كتفيه ، فى لامبالاة ، قائلاً :

ـ لا بأس .. سأذهب أنا إليه .

هتف الوزير مستنكرًا :

ـ والصحفيون بالخارج ؟!

عاد يهزّ كتفيه ، قائلاً فى خبث :

ـ الصحفيون لا يمكنهم الحصول على إفادة واحدة .

وغمز بعينه مرة أخرى ، وهو يضيف :

ـ من رجل فاقد الوعى .

قالها ، وتراجع فى مقعده ، مطلقًا ضحكة طويلة ، احتقن لها وجه وزير الدفاع الأمريكى أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و ....

وعند هذه النقطة ، ضغطت الزعيمة الغامضة زر الإيقاف ، فتجمَّدت على شاشتها صورة (أميجو) ، مع ابتسامته الواثقة ، ووجه وزير الدفاع المحتقن ..

وبكل توتر الدنيا ، نفثت دخان سيجارتها فى الشاشة ، قبل أن تتراجع ، مغمغمة :

ـ لعبتك عميقة هذه المرة يا (أدهم) .. عميقة أكثر مما ينبغى .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى عصبية :

ـ أو أكثر مما يمكننى أن أحتمل .

ففى أعماقها ، كان هناك بركان ثائر ..

بركان يقذف الحمم ، فى أعمق أعماق مخها ..

أو أشد غورًا ..

* * *

اقتحمت سيارة (تيا) الفارهة البيضاء ، ذلك الحى الأسود ، فى قلب (هارلم) ، أسوأ مناطق (نيويورك) ، وأعنفها ، والتى صارت ، منذ قرن أو أكثر من الزمــان ، قاصرة علـى الأمريكيين السود ، من أصل أفريقى(*) ، واشتهرت بعتاة الإجرام منهم ، على الرغم من أنهم يمثلون مجتمع القلة ، وسط أغلبية سوداء مسالمة ..

ولأن السيارة بيضاء فارهة ، وركابها كلهم من البيض ، فيما عدا (تيا) ، التى بدت ملامحها الصينية واضحة ، فقد تحفَّز رجال العصابات السود فور رؤيتها ، وبدءوا يتهامسون فى عصبية ملحوظة ، كما لو أنهم يعترضون على اختراق عنصريتهم الخاصة جدًّا ..

وعلى الرغم من تجمعهم ، عبر مسار السيارة ، فى تحفز واضح مستفز ، بدت (تيا) شديدة الهدوء والثقة ، على عكس العمالقة الخمسة الذيـن يصطحبونها ، والذين أمسك كل منهم سلاحه ، متأهبًا لخوض معركة طاحنة ، فى أية لحظة ..

وفى سرعة هادئة نسبيًّا ، توغَّلت السيارة فى الحى ، حتى بلغت أكثر مناطقه عمقًا ، حيث تجمَّع جيش من السود بأسلحتهم ، على نحو يوحى بأن مذبحة دموية عنيفة ، على وشك أن تنشأ هناك ..

(*) يطلق الأمريكيون ، منذ منتصف التسعينات ، على مواطنيهم السود ، اسم (الأمريكيين الأفارقة) .. (African americans)

فى أعمق أعماق (هارلم) ..

ولكن (تيا) أمرت السـائق بـالتوقف ، وسـط ذلـك الحشـد المتحفز ، وهبطت منها فى هدوء واثق ، وارتكنت إليها بشـىء من الميوعـة ، وهـى تتطلـع إليهم بابتسـامة سـاخرة ، فـى حيـن خرج رجالها الخمسة حذرين ، متحفزين ، و ....

وفجأة ، سحب أحد السود مسدسه ، وأطلق زمجرة وحشية ، دفعت الدماء فى عروق الكل ، و .....

« أريد (جاكسون) .. »

نطقت (تيا) الكلمـة ، فـى لهجـة آمـرة دسارمـة ، لـم يرتجـف منها حرف واحد ، على الرغم من دقة الموقف ، فتجمـد المشـهد كله دفعة واحدة ، كما لو أنه صورة على شاشـة تلفاز رقمـى ، ضغط أحدهم زر تثبيتها ..

فمجرد ذكر اسم (جاكسون) ، زعيم عصابـات (هـارلم) ، وأكثر رجال العالم قسوة وعنفًا ، أرجف القلوب ، وجمَّد الأطراف دفعة واحدة ..

أما العيون ، فقد اتسعت عن آخرها ، وحدَّق بها الكل ، فـى وجه (تيا) الجميل الصغير ، على نحو اتسـعت معـه ابتسـامتها ، وهـى تقول بنفس اللهجة الصارمة الآمرة :

ـ أخبروه أن (تيا) هنا .. وأن الزعيمة تطلبه فورًا .

أثارت لهجتها ذعرًا أكثر فى القلوب ، ولم يصدق معظمهم أنها تتحدث بتلك اللهجة الآمرة ، عن الرجل الذى ترتجف لذكر اسمه قلوبهم وتجفل وترتعد ..

وبصيحة هادرة ، هتفت (تيا) :

ـ قلت فـورًا .

لم تكد صيحتها تنطلق ، بل وربما حتى قبل أن تكتمـل ، كـانوا يتفرقون من حولها ، فى سرعة وهلع ، كمستعمرة نمل ، هاجمها آكل نمل شرس(*) ، فراحت كل منهـا تنجو بنفسـها ، دون نظـام أو تحديد ..

وفى ظفر ، ابتسمت (تيا) أكثر ..

وفى انبهار تام ، غمغم أحد عمالقتها الخمسة :

ـ من الواضح أن للزعيمة نفوذًا كبيرًا هنا .

أجابته (تيا) فى صرامة :

(*) آكل النمل : حيوان يتغذى بالحشرات ، عديم الأسنان ، يحيا فى أمريكا الوسطى والجنوبية ، لـه رأس طويل ومتخر طويل ، ولسـان لـزج ، يمـده داخـل مستعمرة النمل ، فتلتصق به الحشرات ، التى يلتهمها فى شراهة لا تنقطع .

ـ الزعيمة لها نفوذ فى كل مكان .

قال آخر ، فى شىء من الحماس :

ـ إنها تنفق بسخاء ، فى سبيل هذا .

استدارت إليه (تيا) فى بطء ، قائلة فى استنكار :

ـ تنفق بسخاء ؟! فقط ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ كنت أعنى أن استثماراتها ضخمة للغاية ، فـى مقرهـا هنـا ، وفى (سيبيريا) ، و ......

قاطعته (تيا) ، فى صرامة مفاجئة :

ـ اصمت .

تراجع العملاق أمام جسدها الضئيل فـى خـوف ، فتابعت بكل الصرامة ، وهى تتقدَّم نحوه :

ـ إياك أن تتحدث عن أسرار الزعيمة .. حتى وأنت وحدك .. أنت تعرف عقوبة هذا .

ارتجف الرجل ، على الرغم من فارق الضخامة ، بينه وبينها ، وقال فى ارتباك شديد :

ـ كنت أشير فقط إلى أن ثروتها هى التى ..

صرخت فيه (تيا) ، مقاطعة :

ـ ليست الثروة أيها الغبى .

ومالت نحوه بحركة حادة ، جعلته يعود برأسه إلى الخلف ، وهى تكمل :

ـ إنها القوة .

ازدرد العمـلاق لعـابه فى صـعوبة ، وهو يتطلَّع إليها ، فى توتـر كامل ، فاعتـدلت ، مكملـة ، وقد استعادت هدوءها ، إلى حد ما :

ـ (جاكسون) هـذا مثـلاً ، يمتلك ثـروة طـائلة ، مـن تجـارة المخدرات ، والمقامرة ، وكل الأعمال الحقيرة وغير المشـروعة ، التى يمكنكم تخيلها ، وعلى الرغم من هذا ، فهـو يطيـع الزعيمـة طاعة عمياء ، ويرتجف لمجرَّد ذكـر اسمها ، أتتصورون أن كل هذا لأنها أكثر ثراءً ؟!

تطلَّعوا إليها كلهم فى حذر ، فتابعت فى حزم :

ـ بل لأنها أكثر قوة .

ثم مالت نحوهم ، مستطردة :

ـ وأكثر قسوة .

بدا التوتر على وجوه الخمسة ، مما جعلها تتابع فى تلذُّذ :

ـ فلو أن (جاكسون) هذا قادر على قتل طفل صغير ، دون رحمة أو شفقة ، فهى مستعدة للتمثيل بذلك الطفل ، وتعذيبه على نحو بشع ، قبل أن تقتله ، لو أن هذا يخدم مصالحها .

ثم رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، مضيفة :

ـ وهى حريصة على أن يدرك (جاكسون) هذا .

لم تكد تأتى على ذكره ، حتى وصل زعيم عصابات السود ، فى سيارة فارهة ، ذات لون وردى مستفز ، وتوقف إلى جوار سيارتها ، وهبط من سيارته ، مرتديا حلة ذات لون أخضر زاه ، ورباط عنق ناريًا ، وفى فمه سيجار ، يبدو من فرط ضخامته ، وكأنه يصنع خصيصًا من أجله ، وينفث دخانه فى كثافة شديدة ، وهو يبتسم ابتسامة مقيتة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا حسنائى .. أتعشَّم أن يكون لزيارتك آثار مالية جيدة .

رمقته (تيا) بنظرة ازدراء ، وهى تقول :

ـ لست أظنك تفتقر إلى المال يا (جاكسون) .

أطلق ضحكة مقيتة ، قبل أن يقول :

ـ لا أحد يصاب بتخمة الأموال يا حسنائى .

لم يكن اللقب ، الذى يستخدمه فى مخاطبتها ، يروق لها أبدًا ، إلا أنها تجاوزت اشمئزازها ، وهى تقول :

ـ لقد أتيت بشأن المصريين الأربعة .

نفث (جاكسون) ذلك الضباب الكثيف ، من بين شفتيه الغليظتين ، قبل أن يقول فى خشونة :

ـ المصريون أصبحوا مشكلة .. الكل يبحث عنهم .

قالت فى صرامة :

ـ لا شأن لك بهذا .

انعقد حاجباه ، على نحو زاد ملامحه قبحًا ، وهو يقول :

ـ بل صار شأنى .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حدة :

ـ لقد تخلصت منهم .

وهنا فقط ، شعرت (تيا) بالتوتر ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★

5 ـ أميجــو ..

« يا له من عبقرى ! »

ضغطت الزعيمة زر إعادة البث للمرة الخامسة ، وهى تراجع تلك العبارة بالتحديد ، من حديث (أميجو) ، مع وزير الدفاع الأمريكى ..

وفى تركيز شديد ، راحت تتابع المشهد نفســه ، وعقلها يلقى عليها السؤال ذاته ، فى إلحاح لا ينقطع ..

ما الذى عناه (أميجو) بقوله هذا ؟!

من هو ذلك العبقرى ، الذى أشار إليه ؟!

إنه (أدهم) حتمًا ..

من سواه ..

وحده دبَّر كل هذا ، وتوقَّع كل خطوة ، واستعد لكل رد فعل ..

وحده ، يمكنه أن يتفوق عليها ..

وهذا ما يحنقها دومًا ..

ففى عالمها ، هى الزعيمة ..

وحدها بلا منازع ..

خبراتهـا المتعـددة ، وذكاؤهـا اللامـع المتقـد ، وبراعتهـا ، ومكرها ، وقسوتها ، وسطوتها ، كل ذلك وضعها على القمة ..

وفى كل معاركها ، كانت تنتصر ..

إلا عندما يدس هو أنفه فى شئونها ..

كلما ظهر ، يصبح من الطبيعى أن يتفوق ..

وأن ينتصر ..

ولقد سئمت هذا ..

لا بد وأن تعلن هى انتصارها مرة ..

ومن المحتم ألا يكون انتصارًا عاديًا ..

بل ساحقًا ..

ما حقًا ..

وعلنيًا ..

هناك ، فى جزيرتها ، كان يمكنها أن تتركه يموت(*) ..

كان يكفيها أن تهرب ، وأن تتركه خلفها ، وكان سيلقى مصرعه حتمًا ..

إلا أنها لم تفعل ..

(*) راجع قصة (النهاية) ... المغامرة رقم (150) .

فلو لقى حتفه يومها ، لمات منتصرًا ، وتركها مهزومة مدحورة ..

كان سينتهى بطلاً ، كما عاش دومًا ..

وهى لم تسمح بهذا ..

لم يكن من الممكن أن تسمح به ..

لذا ، فقد جازفت لتنقذه ..

أخرجته من قلب الجحيم ، وتركته يحيا ..

(تيا) لم تفهم يومها ، لماذا فعلت هذا ..

وهى لم تهتم بشرح موقفها ..

المهم أن تنقذه ..

أن تعيده إلى اللعبة ، وتواجهه فى تحدٍ جديد ، يعلم الكل أمره ، و ....

وتهزمه ..

هذا وحده ، يعيد إليها سطوتها ..

ويعيدها إلى القمة ..

ولكنها ، فى هذه المرة أيضًا ، ما زالت تشعر أنه متفوق ..

إنه يسبقها دومًا بخطوة ..

خطوة تضعه فى المواجهة ، وتسمح له بتحديد مسار اللعبة ..

وليس أمامها ، والحال هكذا ، سوى أن تتبعه ..

وهذا يحنقها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والوسيلة الوحيدة ، لكى تسبقه فى اللعبة ، هى أن تتوقع حركته المستقبلية ، قبل أن يقدم عليها ..

وهذا لن يتأتى ، إلا لو أمكنها أن تفهم لعبته ..

وهدفه ..

ومرماه ..

وحتى هذه اللحظة ، مازالت تجهلها كلها ..

وتعجز حتى عن استنتاجها ..

وهذا يفجِّر غضبها ، إلى أقصى حد ممكن ..

وربما بلا حدود ..

وبكل توترها وانزعاجها ، أشعلت واحدة من سجائرها الرفيعة ، وراحت تنفث دخانها فى سماء حجرتها ، وهى تعيد عرض تلك الفقرة مرة أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

وما زال السؤال يشتعل فى أعمق أعماق عقلها ..

ترى ما هدف لعبة (أدهم) ؟!

وظل عقلها يلتهب ..

بلا جواب ..

* * *

على الرغم من تلك السطوة ، التى يتمتع بها (جاكسون) ، فى مجتمع السود فى (هارلم) ، فقد بدا أشبه بقط مبتل ، وهو يقف أمام (تيا) ، فى قلب منطقة نفوذه ، وهى تصرخ فى وجهه :

ـ تخلَّصت منهم ؟! هل فعلت هذا ، دون الرجوع إلى الزعيمة يا (جاكسون) ؟!

ارتبك (جاكسون) بشدة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ الاحتفاظ بهم لم يعد آمنًا ، بعد أن أصبح الكل يبحث عنهم باستماتة .. رجال الشرطة يبحثون ، ومكـاتب التحريـات الخاصـة تبحث ، كذلك الشرطة الفيدرالية ، ورجال المخـابرات .. إنكم لـم تخبرونى بمدى خطورة هؤلاء المصريين الأربعة ياحسناتى ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، انقضت عليه (تيا) فجـأة ، غير مباليـة برجاله ، وقالت فى شراسة :

ـ كيف تخلصت منهم ؟! هل قتلتهم ؟!

تحفز رجاله فى عصبية ، سحب أحدهم مسدسه ، فرفع رجال (تيا) الخمسة أسلحتهم ، فى تحفز مماثل ، وبدا لحظة أن النيران ستشتعل فى المنطقة ، إلا أن (جاكسون) هتف برجاله فى عصبية :

ـ لا .. لا أسلحة .

تضاعف توتر الرجال ، ولكنه استطرد فى توتر :

ـ إننى .. إننى لم أقتلهم .. لم يكن من الممكن أن أفعل ، دون استشارة الزعيمة .

سألته بنفس الشراسة :

ـ ماذا تعنى بتخلصك منهم إذن ؟!

هتف ، وهو يحاول التخلُّص منها فى حدة :

ـ لقد .. لقد أرسلتهم بعيدًا .

صاحت به :

ـ أين ؟!

صرخ عند هذه النقطة :

ـ اتركينى أوَّلاً .

أطلَّت نظرة نارية من عينيها بضع لحظات ، ثم لم تلبث أن تراجعت بحركة حادة مفاجئة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ فليكن .

عدَّل من هندامه فى عصبية ، واستدار إلى رجاله بنظرة مرتبكة ، وابتسامة ، حاول أن يخفى بها مذلته ، فصاحت هى به :

ـ هيا .. ليس لدى اليوم كله لأضيعه .

قال فى حدة :

ـ حسن .. حسن .. لقد أرسلتهم إلى مزرعتى .

التقى حاجباها ، وهى تسأله :

- مزرعتك ؟! أين ؟!

مال نحوها ، ونفث دخان سيجاره الكريه ، على مقربة من وجهها ، وهو يقول :

- هناك .. فى (تكساس) .

سألته فى حدة :

- هل تمتلك مزرعة فى (تكساس) ؟!

تراجع مطلقًا ضحكة مستفزة ، قبل أن يجيب :

- نعم .. هل يمكنك تصوُّر هذا ؟! أجدادى الأوائل كانوا عبيدًا فى تلك المزرعة ، وتاريخهم تناقلته أسرتى .. أحدهم مات تحت حوافر الخيل ، وكل ما حصلت عليه زوجته ، كان سبابًا من جد صاحب المزرعة الحالى .. لذا فقد أقسمت ، منذ نعومة أظافرى أن أنتقم له .. وعندما أصبحت ما أنا عليه ، ذهبت لزيارة حفيد قاتل جدى ، وتحدثت إليه بعض الوقت ، وشرحت له ما فعله جده ، وبعدها قدمت له عرضًا ، لا يمكنه رفضه[*] .

بلغ تلك العبارة الشهيرة ، فانفجر ضاحكًا ، على نحو دفع الدماء فى عروقها ، وجعلها ترغب فى لكمه على أنفه الضخم ، قبل أن يتابع :

(★) عبارة شهيرة ، استخدمها الممثل العالمى (مارلون براندو) ، وهو يلعب دور زعيم (المافيا) ، فى فيلم الأب الروحى .

- وهكذا ، أصبحت المزرعة لى ، وأصبح حفيد عبيد الأمس هو مالكها اليوم[*] .

قالت فى صرامة وحدة :

- حقير منك أن أرهقتنى بسماع تاريخ أسرتك ، الذى لا يعنينى بشىء ، والوسيلة الوحيدة ؛ لتمحو هذه القذارة من أذنى ، هى أن تخبرنى أين مزرعتك بالضبط ؟!

شدَّ قامته ، قائلاً :

- سأفعل ما هو أفضل من هذا .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف ، فى زهو وتفاخر واضحين :

- سأصحبك إلى هناك .. فى طائرتى الخاصة .. وفورًا .

والتقى حاجبا (تيا) ، فى شدة ..

فأوامر الزعيمة كانت صارمة للغاية ..

لابد من التيقن شخصيًا ، من تأمين الأسرى الأربعة ..

وبأى ثمن ..

★ ★ ★

(★) قديمًا ، قامت الزراعة فى الجنوب الأمريكى معتمدة على عشرات الصبية السود ، الذين تم اختطافهم من (أفريقيا) ، ونقلهم بوسائل غير آدمية ، ليباعوا فى أسواق (أمريكا) ، مما سبب الحرب الأهلية ، بين الشمال والجنوب (1861) - (1865م) .

التقط نـائب مدير المخـابرات العامـة المصريـة نفسًـا عميقًـا ، وهو يقول للمدير فى اهتمام :

ـ سنيور (أميجو) عـاد إلـى شركته ، التى تجرى الحكومـة الأمريكية بنفسها الإصلاحات اللازمـة فيها ، بعد اقتحامها دون سند قانونى .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

ـ أعتقد أن (أميجو) لن يكتفى بهذا .

وافقه النائب بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ نحن أيضًا نعتقد هذا يا سيادة الوزير ، خاصـة وأن الإعلام الأمريكى كله يطالبه بمقاضاة الحكومة ، حتى يضـع حدًّا لتجاوزاتها فى الآونة الأخيرة ، بحجـة حمايـة الأمـن القومـى ، مـن الإرهـاب الخارجى .

صمت المدير بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى اهتمام :

ـ الأمر يحتاج إلى دراسة متأنية .. أريد عقد اجتمـاع عـاجل للأمن القومى ، لدراسة موقف (ن ـ 1) هذا .

قال النائب فى دهشة :

ـ ولماذا ؟! إنهـا ليست عملية رسمية ياسيدى ، وهذا يعنـى أنه ليست لدينا مخططات سابقة ، أو حتى توقعات تالية لها .

أجابه المدير فى حزم :

ـ عندما يستعيد (ن ـ 1) رفاقـه ، سيجن جنـون الكل ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وسيتحوّل الأمر إلى حرب طاحنة .. حرب قوة عظمى ، ضد رجل واحد ، ينقذ أربعة من الأسرى المنهكين ، وعندما يحدث هذا ، لابد وأن تكون مستعدين لمساندته ، على نحو دقيق وغير رسمى ، ولكن بكل طاقتنا وخبراتنا .

قال النائب فى حيرة :

ـ تبدو واثقًا من أنهم على قيد الحياة ، وأن العميد (أدهم) سيستعيدهم يا سيدى .

قال المدير فى سرعة :

ـ إنه يدير اللعبة كلها من أجل هذا ، وإثارته لتوترهم وقلقهم وحيرتهم ، يستهدف الوصول إلى حيث يحتجزونهم .

تساءل النائب فى حذر :

ـ وكيف هذا ؟!

صمت المدير بضع لحظات ، وشفتاه تحملان ابتسامة هادئة ، ثم قال ، فى حسم واضح :

ـ قل لى : لو أخبرك أحدهم أن منزلك تعرَّض إلى الاقتحام ، ما أول شىء ستبحث عنه للاطمئنان .

التقى حاجبا النائب لحظات فى شدة ، ثم تألقت عيناه ، وهتفت فى حماس مفرط :

ـ يا إلهى ! الآن أدركت هدف اللعبة كلها يا سيادة الوزير .. الآن فقط .

وهنا اتسعت ابتسامة المدير ..

وحملت كل الثقة ..

وكل الغموض ..

معًا ..

★ ★ ★

راحت الإصلاحات تجرى على قدم وساق ، فى مبنى شركة (أميجو) للإلكترونيات ، وبدا (أنزيو) ، المدير الإدارى ، شديد العصبية ، وهو يتحسَّس موضع إصابته ، قائلاً فى حدة :

ـ ما زلت أصرّ على مقاضاة الإدارة الأمريكية يا سنيور (أميجو) .. لقد أساءوا إلينا إساءة بالغة ، ولابد وأن يدفعوا الثمن .

أضافت (لورا) فى حدة ، وهى تكتم دموعها بالبكاء :

ـ من ناحيتى ، سأقاضيهم على ما سببوه لى من رعب ، لم أشعر بمثله ، فى حياتى كلها ، حتى ولو أدى هذا إلى فصلى من العمل .

تجاهلهما (أميجو) تمامًا ، وهو يتطلع عبر النافذة ، التى يعمل العمال على إصلاحها ، فى صمت وتفكير عميقين ، فتبادلا نظرة متوترة ، وقال (أنزيو) محتدًا ، وهو يلوِّح بذراعه :

ـ الإعلاميون فى الخارج ، يتصارعون للحصول على تصريح رسمى منك ، وما زلت ترفضهاستقبالهم ، وتمنعنا أيضًا من الإدلاء بتصريحاتنا .

أضافت (لورا) ، وقد سمحت لدموعها بالانهمار على خديها :

ـ وهذا ليس عدلاً .

صمت (أميجو) لبضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حزم ، دون أن يلتفت إليهما :

ـ لا طائل من كل هذا .

بدت دهشة مستنكرة على وجهيهما ، فتابع بنفس الحزم ، ودون أن يلتفت إليهما :

- الإدارة الأمريكية تتصرف وتتعامل ، فى هذه الآونة ، كما لو أنها تنظيم إجرامى منظم ، وليس إدارة سياسية محترمة ، لأقوى دولة فى العالم .. وبحجة مكافحة الإرهاب ، ألقت خلف ظهرها بكل قوانين الحريات ، التى قاتل الأوائل لإقرارها ، والحفاظ عليها ، ووضع دستور دائم ؛ لحمايتها وتنظيمها .. القوانين تم تعطيلها .. مراقبة الكل أصبحت حقًا للمسئولين .. اعتقال أى شخص ، فى أى وقت ، ولأية مدة ، أصبح أساس التعامل والحكم .. لا احترام لحرية الفرد ، أو ملكيته ، أو حتى قوانينه .. الإدارة الأمريكية تسعى لفرض سيطرتها وهيمنتها على شعبها ، كوسيلة لمد هذه الهيمنة على العالم كله .

ثم التفت إليهما ، مكملاً ، فى غضب واضح :

- باختصار ، أصبحت إدارة تتعامل بمنتهى الخسة والحقارة والديكتاتورية ، بحجة حماية القيم والديمقراطية .. ويالها من مهزلة .

واتسعت عيونهما فى انبهار ..

صحيح أن ذلك الواقف أمامهما ، كان هو نفسه السنيور (أميجو) ، الذى يعرفانه ، ويتعاملان معه منذ زمن ..

إلا أنه بدا هذه المرة مختلفًا ..

بدا أكثر قوة ، وبأسًا ، وحزمًا ، وصرامة ، من كل المرات السابقة ..

بل ، لقد بدا مختلفًا ، حتى عن ذلك الذى كان هناك ، عندما حدث الاقتحام الأمريكى ..

مختلف تمامًا ..

وعبر جسد (لورا) ، سرت قشعريرة باردة كالثلج ، وهى تتطلع إلى عينى (أميجو) مباشرة ..

إنه ليس هو ..

ليس (أميجو) ، الذى عرفته أمس ..

ليس هو حتمًا ..

ربما هو نسخة طبق الأصل منه ، ولكنه ليس هو ..

إنها لن تخطئ هذا قط ..

الإنسان يمكن أن يغيِّر كل ملامحه ..

إلا عينيه ..

وعينا ذلك الواقف أمامهما ، ليستا عينين عاديتين ..

إنهما عينا أسد ..

أسد هصور ..

ومرة أخرى ، سرت فى جسدها قشعريرة باردة ..

وربما أكثر برودة من الثلج نفسه ..

ودون أن تدرى ، تراجعت خطوة إلى الوراء ..

خطوة ، لاحظتها عينا الرجل بسرعة ..

ودقـة ..

وبراعة ..

لاحظ رد فعلها ، وتطلَّع إلى عينيها لحظة ..

أو ربما أقل من هذا ..

ولكنه فهم ..

ليست لديها ذرة واحدة من الشك ، فى أنه قد فهم ..

تلك الابتسـامة ، التـى تسلَّلت إلـى ركـن شفتيه ، لجزء مـن الثانية ، قبل أن تذوب فى ملامحه الجامدة ، وهو يشيح بوجهـه عنها ، مكملاً ، وكأنه لم يتوقف لحظة واحدة :

ـ وعندما يحاول أحد مقاضاة الإدارة الأمريكية ، ستفتح عليـه نيرانها من كل الجبهات ، وستستعين بكل مـا حصلت عليـه مـن استثناءات ، عبر برنامج مكافحة الإرهاب ، لكى تربـح المعركـة ، حتى ولو لفقت أدلة ، تثبت تورطكما فى مخطط إرهابى كبير .

امتقع وجه (أنزيو) فى شدة ، وبدت (لورا) أشبه باللاهثـة ، وهى تحدِّق فى وجه (أميجو) الجديد ، قبل أن يغمغم الأوَّل :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى أدلة إدانة يا سنيور (أميجو) .

هزَّ الرجل رأسه فى بطء ، قائلاً :

ـ ليس فى هذه الظروف .

ونقل بصره إلى (لورا) ، مضيفًا :

ـ وليس فى هذه الآونة .

خُيِّل إليها أنه يبلِّغها رسالة خفية ، فاتسعت عيناها لحظة ، ثـم تمتمت بصوت مضطرب :

ـ ربمـا .

مرة أخـرى ، ابتسم ابتسامة سريعة ، ثـم اسـتعاد ملامحـه الجامدة ، وهو يتطلَّع إلى عينيها مباشرة ..

وارتجفت (لورا) ..

ارتجفت ..

وارتجفت ..

وارتجفت ..

ثم أغلقت عينيها ..

كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة ؛ لتهرب من عينيه القويتين ..

النفاذتين ..

المتوغلتين ..

فكلما نظرت إليهما ، شعرت وكأنه يغوص فى أعماقها ..

فى أعمق أعماقها ..

وفجأة ، وبينما تغلق عينيها ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ..

وانتفض جسدها كله فى عنف ..

وعندما فتحت عينيها ، كان يضع سماعة هاتفه على أذنه ، وينتحى ركنًا جانبيًا ، ويستمع إلى محدثه ، فى اهتمام بلغ ذروته ..

ومرة أخرى ، تطلعت (لورا) إلى عينيه ..

وفى هذه المرة ، رصدت التماعتهما ..

فقد كان من الواضح أن ما يتلقاه أمر شديد الأهمية والخطورة ..

إلى أقصى حد .

* * *

6ـ الأربعـــة ..

شعر مدير المخابرات الأمريكية بتوتر لا مثيل له ، وهو يوقف سيارته ، مع اثنين من معاونيه ، فى تلـك المنطقـة الهادئـة ، فـى قلب (نيويورك) ..

كان يشعر أن ما يفعله لا ينتمى ، بأى حال من الأحـوال ، إلـى أعمال المخابرات ، التى اعتادها وألفها ..

بل كان أقرب إلى ما تقوم به العصابات المنظمة ..

لذا ، فهو لم يشعر بالارتيـاح قـط ، وهو ينظر إلـى ساعته ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ لقد وصلنا قبل الموعد بست دقائق .

تبادل معاوناه نظرة قلقة ، ثم تنحنح أحدهما ، وقال فى حذر :

ـ لا بأس من الوصول مبكرًا .

رمقه مدير المخابرات بنظرة خاوية ، ثم ارتد مرة أخـرى إلـى ساعته ، وكأنما يتمنى أن يقفز الزمن إلى الأمام ، فتنحنح الرجـل مرة أخرى ، وقال فى حذر أكثر :

ـ ما زلت أعتقد أن وصولنا إلى هنا وحدنا ، أمر ينطوى على مخاطرة بالغة .

غمغم مدير المخابرات فى عصبية :

ـ لقد أصرَّت على هذا .

قال الآخر فى توتر :

ـ ليس من الضرورى أن نخضع لكل ما تصرّ هى عليه .. ماذا لو أنه فخ .

غمغم فى صرامة عصبية :

ـ إنه ليس كذلك .

قال الأوّل :

ـ ولِمَ لا ؟!

انعقد حاجبا مدير المخابرات الأمريكية فى شدة ، وهو يجيب فى حدة :

ـ لأن هذا ليس أسلوبها .

تبادل الرجلان نظرة شك صامتة ، ثم هزَّ الأوّل كتفيه ، وقـال فى خفوت :

ـ لم يكن هناك ضرر ، فى أن نستعد لهذا الاحتمال .

أجابه المدير فى خشونة :

ـ هذا يثبت أنك لم تستوعب خصمك جيدًا هذه المرة .

قال الرجل ، مدافعًا عن كفاءته :

ـ كل الخصوم لهم سمات مشتركة ، و ....

قاطعه المدير فى حدة :

ـ إلا هى ..

صمت الرجلان تمامًا ، فتابع هو فى حزم :

ـ إنها تعرف كل شىء .. لها عيون وآذان فى كل شبر ، وكل ركن ، وكل محاولـة لتحجيم هـذا أو منعـه ، تنتهـى بالفشـل ، وبعقاب عنيف ، تنزله على رءوس الجميع ، بلا شفقة أو رحمة .

قال الأوَّل ، فى شىء من الحدة :

ـ أمن المفترض أن يخيفنا هذا ؟!

قال المدير فى صرامة :

ـ بل أن يدفعكما إلى التفكير ، فى حساب الأربـاح والخسائر ، قبل الدخول فى معركة ما .

صمت الرجلان بضع لحظـات ، فـى ضيق واضح ، ثم غمغم الثانى :

ـ كنت أتصوَّر أننا أقوى دولة فى العالم .

زفر مدير المخابرات ، دون أن يجيب ، وراح عقله يبحث عن بديل لمعاونيه ، اللذين بدا من الواضح أنهمـا غير مؤهليـن ، لخوض تلك المحنة ، والتى تمر بها البلاد ، والتـى يبذل قصارى جهده ، حتى لا يعلم بها أحد .

وبينما انهمك فى أفكاره وحساباته ، سطع فجأة ضـوء مصبـاحين قويين لحظة ، ثم انطفأ ، وعاد يسطع مرتين ، فتحركت يدا الرجلين بحركة غريزية إلى مسدسيهما ، إلا أنه أشار إليهما فى صرامة ، قائلاً :

ـ إنها هى .

تبـادلا نظـرة متوتـرة أخرى ، وظلت يد كل منهمـا ممسكة بمسدسه ، وهما يتابعان ضوء السيارة ، الذى عاد يسطع ، وهـى تقترب منهما فى هدوء ، حتى توقفت على مسافة ستة أمتار مـن سيارتهم ، وسطع مصباحاها مرة أخرى ، ثم انطفآ ..

وهنا ، قال مدير المخابرات فى حزم ، وهو يغادر سيارته :

ـ انتظرانى هنا .

وتوقف لحظة أمام السيارة ، ثم التفت إليهما ، مضيفًا بمنتهى الصرامة :

ـ لا أريد حماقات متهورة .

تبادل الرجلان نظرة عصبية ، وغمغم أحدهما :

ـ كما تأمر .

غادرهما المدير ، واتجه نحو السيارة الأخرى ، وفتح بابها ، فسمع صوت الزعيمة داخلها ، تقول :

ـ يسعدنى أن نلتقى للمرة الأولى يا رجل .

كانت تجلس فى الركن البعيد ، وسط ظلمة حالكة متعمدة ، لا يضيئها سوى لهب طرف سيجارتها المشتعلة ، والتى ملأت السيارة بالدخان ، فسعل قائلاً :

ـ لا يبدو لى لقاءً مباشرًا ، على الرغم من تواجدنا معًا .

نفثت دخان سيجارتها ، قائلة فى صرامة :

ـ لم يحن وقت كشف الوجوه بعد .

بذل جهدًا كبيرًا ؛ ليراقب ملامحها ، مع ضوء سيجارتها ، وهو يقول :

ـ الواقع أن طلب اللقاء المباشر أدهشنى للغاية ؛ فمنذ تعارفنا ، تتم لقاءاتنا كلها عبر وسائل اتصال تكنولوجية متطوّرة .

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ المرحلة التى نمر بها دقيقة للغاية ، ولست مستعدة للمجازفة بمحادثة واتصال ، وقد يمتلك غيرى وسيلة لتعقبه أو رصده .

وجذبت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، فتوهج طرفها أكثر ، وكشف ذلك القناع المسرحى الرقيق ، الذى تخفى به ملامحها ، والذى استفز مدير المخابرات بشدة ، قبل حتى أن تتابع :

ـ وخاصة مع برنامج الأقمار الصناعية الجديد ، الذى تعملون على تطويره ؛ لرصد وتتبع خصومكم ، فى كافة أنحاء العالم ، فقط بتعريف ذبذبة أصواتهم(*) .

بدت عليه الدهشة ، وهو يغمغم :

ـ إذن ، فلديك عين وسطنا بالفعل .

أجابته فى سخرية :

ـ أو يمكنك أن تقول إننى قد توصلت إلى الابتكار نفسه قبلكم .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فيها بمنتهى الدهشة والتوتر ، وقد بدت له أقوى وأكثر تطورًا ، من نظام دولته كله ..

(*) برنامج متطوّر ، تتم تجربته بالفعل ، فى لحظة كتابة هذه السطور ؛ لرصد الفارين فى الجبال .

وبكل عصبية ، سألها :

ـ لماذا هذا اللقاء ؟!

نفثت دخان سيجارتها ، دون أن تجيب ، فأكمل فى حدة :

ـ إننا لم نأت إلى هنا ، ونكسر كل قواعد الاتصال السابقة ، فقط للتباهى بأنك تسبقيننا فى سلم التطوّر .

غمغمت :

ـ أنت على حق .. لا داعى لإضاعة الوقت .

ثم اعتدلت ، مضيفة فى صرامة :

ـ لقد التقينا بشأن سنيور (أميجو) .

أثار ذكر اسم (أميجو) توتره ، فقال فى عصبية :

ـ ماذا عنه ؟!

أجابته بنفس الصرامة :

ـ لقد سخر منا جميعًا .

بدا الغضب واضحًا فى صوته ، وهو يقول :

ـ اسمعى أيتها الزعيمة .. (أميجو) هذا جعلنا نواجه أزمة إعلامية شديدة ، لم تنته بعد ، وكل هذا بسبب معلومات خاطئة ، أرسلتيها أنت إلى وزيرة خارجيتنا ، ولست مستعدًا لـ .....

قاطعته فى صرامة :

ـ لا تسمح له بخداعكم مرة أخرى .

قال فى حدة :

ـ الرجل لم يخدعنا .. أنت خدعتنا .. لقد راجعت كل نتائج فحصه بنفسى .. خبراؤنا فحصوا ملامحه بالأشعة فوق البنفسجية ، وتأكدوا من أنه لايرتدى أية أقنعة ، ولم تجر له أية جراحات تجميل ، باستثناء جراحة تقويمية للأنف ، وبصماته تتفق مع المسجل لدينا ، فى تصريح مزرعته فى (المكسيك) ، وحمضه النووى يختلف تمام الاختلاف ، عن الحمض النووى المسجل لدينا ، لذلك المصرى ، الذى يثير وجوده جنونك دومًا .

بدا صوتها غاضبًا ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، قائلة :

ـ كل هذه الأمور لا تساوى شيئًا .. سجلات البصمات والحمض النووى يمكن التلاعب بها واستبدالها .

قال فى حدة :

ـ ليس بهذه السهولة .

قالت فى حدة أكثر :

ـ فليكن ، ولكن ما أردت قوله هو أن (أميجو) ، الذى ألقيتم القبض عليه ، وفحصتموه بكل هذه الدقة ، ليس هو نفسه (أميجو) ، الموجود فى شركته الآن .

اتسعت عيناه لحظة ، وهو يحدّق فيها ، قبل أن يعود لعقد حاجبيه ، وهو يقول فى توتر :

ـ أى قول هذا ؟!

مالت نحوه ، قائلة :

ـ القول الحق يا رجل .. (أميجو) الذى ألقيتم القبض عليه ، انتقل بسيارة مغلقة ، من مقر شركته ، إلى مطار خاص ، فى منتصف الطريق ، بين (نيويورك) و(واشنطن) ، حيث حملته طائرة خاصة ، إلى مكان مجهول فى (أوروبا) ، وكلها أمور يمكنك أن تتأكّد من حدوثها ، عبر بعض التحريات الدقيقة .

بدا عليه مزيج من الشك والحيرة ، وهو يغمغم :

ـ ومتى حدث هذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ بعد ساعة واحدة ، من مغادرته لكم .

هتف مستنكرًا :

ـ مستحيل ! لقد التقى بالرئيس الأمريكى ، فى صباح اليوم التالى ، و ....

قاطعته فى صرامة :

ـ لم يكن هو .

ثم مالت نحوه ، وهى تلقى سيجارتها أرضًا ، وتسحقها بقدمها ، مضيفة فى لهجة خاصة :

ـ كان الآخر .

والتقى حاجبا مدير المخابرات الأمريكى بمنتهى الشدة ..

فما تشير إليه الزعيمة ، كان أخطر ما سمعه ، فى حياته كلها ..

أخطره على الإطلاق ..

* * *

هبطت طـائرة (جاكسون) ، فـى ذلـك المطـار الخـاص ، علـى مقربـة مـن مزرعتـه ، ولـم تكـد تستقر أرضًا ، حتـى أطلـق هـو ضحكة عالية مستفزة ، ليس لها مايبررها ، قبل أن يقول :

ـ من هنا ، يمكنك أن تنسى الآلات الميكانيكية تمامًا يا حسنائى ؛ فمزرعتى تدار على طراز أجدادى .

سألته (تيا) فى ضجر :

ـ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أطلق الضحكة المستفزة نفسها ، قبل أن يجيب :

ـ سترين .

نهض يغادر الطـائرة ، وبقى رجاله داخلها ؛ ليتابعوا هبوط (تيا) ورجالها الخمسة أمامهم ، وما أن أصبحوا خارجها ، حتى انطلق ذلك الهتاف فجأة ..

صرخة تقليدية ، أطلقها راكبو الجياد ، الذين أحاطوا بالطائرة ، فى دائرة كبيرة ، وهم يرفعون قبعات رعاة البقر القديمة ، ويلوحون بها فى الهواء ، ترحيبًا برئيسهم ..

ومع الصرخة ، قفزت أيادى رجال (تيا) إلى مسدساتهم ، ثم تذكروا أن قوانين الطيران لم تسمح لهم بحملها ، فى حين أطلق (جاكسون) ضحكة عالية ظافرة مزهوة ، وهو يقول :

ـ اطمئنوا .. إنهم رجالى .

لاحظت (تيا) ، للوهلة الأولى ، أن كل رجال (جاكسون) من البيض ، وليس بينهم أسود واحد ، فالتفتت إليه بنظرة متسائلة ، أدرك مغزاها على الفور ، فابتسم ، قائلاً :

ـ البيض هنا هم الخدم ورعاة الأبقار فقط .

قالت فى سخرية :

ـ من الواضح أنك تفرغ فى مزرعتك ، كل عقد طفولتك المعذبة .

أجابها ، فى لهجة تحمل نبرة تحد :

ـ وهذا يسعدنى .

غمغمت ساخرة :

ـ بالتأكيد .

كانت فى انتظارهم مجموعة من الخيول المسرجة ، بسروج من الفضة الخالصة ، التى تنم عن الثراء الفاحش ، الذى يتمتع به زعيم عصابات (هارلم) ، فقالت (تيا) فى ضجر ، وهى تمتطى أحدها :

ـ ألم يجل بخاطرك أن بعض رجالى قد لايجيدون ركوب الخيل ؟!

قال فى لا مبالاة :

ـ فى هذه الحالة ، كانوا سيلحقون بنا ، سيرًا على الأقدام .

قالها ، وأطلق صرخة من صرخات رعاة الأبقار ، ويضرب بطن جواده بفخذيه ، فانطلق الجواد يعدو نحو مزرعته ، التى بدت على مقربة ، وأطلق رعاة أبقاره صيحات مماثلة ، أزعجت رجال (تيا) كثيرًا ، فقالت فى صرامة ، وهى تلكز جوادها بدورها :

ـ هيا يا رجال .. دعونا نثبت لقرد (هارلم) هذا أننا ، على الرغم من تواجدنا فى مزرعته ، ما زلنا فى منطقة نفوذنا .

انطلقت بهم قافلة الجياد ، حتى بلغت المزرعة ، وبدا من الواضح ، خلال تلك الرحلة القصيرة ، أن رجال (تيا) يتميزون بالمهارة ، فى ركوب الخيل ، حتى أن (جاكسون) قال ، فى غيظ واضح :

ـ الزعيمة تجيد اختيار رجالها .

أجابته (تيا) بلهجة جافة :

ـ هذا جزء من قوتها .

مطَّ شفتيه الغليظتين ، وهزَّ كتفيه ، وهو يضع على رأسه قبعة ، من قبعات رعاة الأبقار ، ذات لون زاه ، لا يتناسب مع البيئة المحيطة بهم ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. على أية حال ، سنتناول طعامًا مشويًا ، على طريقة الأجداد ، ثم ...

قاطعته فى صرامة :

ـ أين هم ؟!

التفت إليها ، بنظرة متسائلة بليدة ، فتابعت فى صرامة أكثر :

ـ أين الأربعة ؟!

مرة أخرى ، مط شفتيه الغليظتين ، وهو يقول :

ـ وما الداعى للعجلة ؟! إنهم هنا ، تحت حراسة مشددة ، وفى ظروف يستحيل فرارهم منها ، ويمكنهم أن ...

قاطعته فى حدة غاضبة :

ـ أين ؟!

بدا غاضبًا ؛ لثورتها عليه أمام رجاله ورعاة أبقاره ، ولكنه أجاب فى حدة :

ـ هنـا .

ثم دسّ سيجاره الضخم بين شفتيه ، مضيفًا فى عصبية :

ـ (مارلو) سيصحبك إليهم .

انعقد حاجباها ، مع ذكر اسم جديد ، إلا أنها فوجئت بزنجى ضخم يبرز ، من خلف باب المزرعة ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا سيد (جاكسون) .

أشار (جاكسون) بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ اصحب الحسناء وطاقمها إلى القبو .

سألته (تيا) فى حذر :

ـ أيوجد قبو هنا ؟!

رمقها (جاكسون) بنظرة باردة ، وتجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يقول فى غلظة :

ـ لا تضيعوا الكثير من الوقت .. سنبدأ الشواء على الفور ، وسأتناول طعامى ، فور الانتهاء منه ، سواء أنجزتم مهمتكم أم لا .

لم تستطع (تيا) إخفاء نظرة الازدراء ، التى رمقته بها ، قبل أن تشير بيدها ، قائلة :

ـ لا بأس أيها الشره .

لم تكن ورجالها يحملون سلاحًا ، عندما اصطحبهم (مارلو) ، إلى ما أطلقوا عليه فى المزرعة اسم (القبو) ، إلا أن كل الانفعال ، الذى كانت تشعر به ، لم يكن يتعلق بهذا ، بقدر ما يرتبط بعدد آخر من التساؤلات ، التى ظلت تدور فى ذهنها ، حتى وصلوا إلى إسطبلات الخيل الضخمة ، ودلفوا إليها ، فتلفتت حولها ، قائلة فى حدة :

ـ أهذا ما تطلقون عليه اسم (القبو) ؟

زمجر (مارلو) ، قبل أن يجيب فى خشونة :

ـ القبو تعنى أنه مكان تحت الأرض .

عادت تتلفت حولها ، قائلة فى صرامة :

ـ وأين مدخله السرى بالضبط ؟

اقترب (مارلو) من أحد قوائم الإسطبل الخشبية ، وهو يجيب :

ـ هنـا .

قالها ، واستخدم يديه معًا ؛ ليضغط القائم الخشبى ، فى موضعين مختلفين فى آن واحد ، ثم تراجع خطوة إلى الوراء ..

وفى بطء ، راحت أرضية المنطقة الوسطى من الإسطبل ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وفى صرامة ، أرادت أن تخفى بها عصبيتها ، غمغمت (تيا) :

- وماذا عن الحديث عن الأجداد ، ورفض كل ما هو حديث هنا .

ابتسم (مارلو) فى سخرية ، دون أن يجيب ، ثم أشار إلى سلم معدنى ، كشفه ارتفاع تلك البقعة ، وهو يقول :

- ستجدونهم تحت حراسة مشددة فى أسفل .

ترددت (تيا) لحظة ، ثم بدأت تهبط فى درجات السلم المعدنى ، وتبعها رجالها الخمسة ، وخلفهم (مارلو) ، يقول بصوت ، بدا مرتفعًا نسبيًا :

- كل منهم فى زنزانة منفردة ، ويقوم اثنان من رجالنا بحراستهم ، فى نوبات متصلة ، لا تزيد كل منها عن ساعات أربع ، حتى تظل أطقم الحراسة يقظة منتبهة طوال الوقت ؛ فنحن نعلم أنهم محترفون ماكرون ، إلى أقصى حد .

غمغمت (تيا) فى توتر :

- إنهم كذلك .

كانت السلالم المعدنية تمتد لثلاثة أمتار ، تحت سطح الأرض ، قبل أن تنتهى فى مساحة واسعة نسبيًا ، يجلس فيها رجلان ، يحمل كل منهما مدفعًا آليًا ، ولقد تحفزا مع ظهور (تيا) ورجالها ، ثم عادا إلى استرخائهما ، عندما سمعا صوت (مارلو) يقول :

- إنهم ضيوف (جاكسون) .

وقفت (تيا) فى تلك المساحة ، وعيناها تعتادان ضوءها الخافت تدريجيًا ، ونقلت بصرها بين الزنازين الأربعة المغلقة أمامها ، قبل أن تغمغم :

- أظن هذا أكثر قساوة من معتقل (جوانتانامو) نفسه[*] .

أطلق (مارلو) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول فى غلظة :

- لست أعتقد أننا بلغنا ذلك الكمال .

ثم أشار إلى أحد الرجلين ، قائلاً بلهجة آمرة :

- أخرجوهم .

نهض الرجلان ، وبدأا فى فتح الزنازين الأربعة ، وهم يصوبون مدفعيهما الآليين إلى من بداخلها ..

وعلى الضوء الخافت ، خرجت أربعة وجوه شاحبة ، من تلك الزنازين الأربعة ..

(*) جوانتانامو : منطقة استأجرتها الولايات المتحدة الأمريكية من (كوبا) قديمًا ، وما زالت تحتفظ بها ، حتى يومنا هذا ، وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، بنت فيها أكثر معتقلات العالم بعدًا عن الإنسانية والعدل ، مما يعيد إلى الأذهان ذكرى وحشية النازية القديمة .

أربعة وجوه ، توحى من النظرة الأولى ، بأن أصحابها قد عانوا الكثير .. والكثير جدًا ..

جدًا ..

وسرت موجة انفعالية قوية ، فى جسد (تيا) ..

فلأوّل مرة ، منذ غادرت جزيرة الزعيمة ، فى قلب المحيط الأطلنطى ، يقع بصرها على وجوه أربعتهم ..

تلك الوجوه ، التى أصابها تحول واضح ..

وجوه رفاق (أدهم صبرى) ..

الأربعــة ..

* * *

7ـ تكســـاس ..

« نريد مقابلة سنيور (أميجو) .. »

نطق أحد رجلى المخابرات الأمريكيين العبارة ، فى صرامة آمرة ، جذبت انتباه (لورا) ، فتطلَّعت إلى الرجلين فى شك حذر ، قبل أن تسألهما ، بصوت تحشرج فى حنجرتها ، من فرط الانفعال :

ـ ألديكما موعد سابق ؟

أجابها أحدهما فى خشونة :

ـ أظنه سيستقبلنا ، فى كل الأحوال .

تضاعف توترها وحذرها ، وهى تسأله :

ـ ولماذا تظن هذا ؟!

تبادل الرجلان نظرة صامتة ، قبل أن يخرج أحدهم هويته ، ويضعها أمام وجهها مباشرة ، فغمغمت فى شحوب مضطرب :

ـ المخابرات المركزية ؟!

أعاد هويته إلى جيبه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ والآن ، أبلغيه أننا نريد أن نلتقى به ... فورًا .

حارت (لورا) فى البحث عن جواب ، ثم لم تلبث أن قالت فى شىء من العصبية ، بدا واضحًا فى قسماتها أيضًا :

ـ سنيور (أنزيو) سيلتقى بكما أولاً ، و ...

قاطعها أحدهما ، فى غلظة شديدة :

ـ هل سنلقاه بإرادته فورًا ، أم سنضطر لاقتحام مكتبه مرة ثانية ؟!

امتقع وجه (لورا) بشدة ، ولم تستطع النطق لحظات ، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، و ...

وفجأة ، انبعث ذلك الصوت ..

صوت (أميجو) ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهو يقول فى سخرية :

ـ عظيم .. لقد سجلنا عبارتكما الأخيرة ، وأعتقد أن وسائل الإعلام سيسعدها للغاية أن تبث ذلك الشريط المسجَّل ، عبر كل نشراتها الإخبارية .

ارتبك الرجلان ، واعتدلا فى وقفتهما ، وتلاشت غطرستهما دفعة واحدة ، وأحدهما يقول :

ـ ربما أسأنا استخدام العبارة يا سنيور (أميجو) ، ولكننا نحتاج إلى مقابلتك بالفعل .

وانعقد حاجبا (لورا) فى شدة ..

فذلك الصوت ، الذى سمعته ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، كان بالفعل صوت (أميجو) الذى تعرفه ..

وليس الذى التقت به أمس ..

هناك شىء ما يختلف ..

رنة مفقودة ، لم تشعر بها سوى أمس ..

رنة قوة ..

وبأس ..

وإصرار ..

وعنفوان ..

رنة صوت رجل اعتاد القتال ، ومواجهة الخطر ، وألف صراع الموت والحياة ..

وبكل ما يعتمل فى أعماقها من انفعالات ، ضغطت زر الاتصال ، قائلة :

ـ بمَ تأمر يا سنيور (أميجو) ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تسمعه يقول :

ـ دعيهما يدخلان .

نهضت تقودهما إلى مكتبه ، والفضول يلتهم كيانها كلـه ، لرؤية (أميجو) ، والنظر إلى عينيه مباشرة ..

وبصوت مبخوح ، فتحت باب مكتبه ، قائلة :

ـ سنيور (أميجو) .

قالتها ، وعيناها تتطلعان إلى عينيه مباشرة ..

ثم ارتجفت ..

لقد كانت على حق ..

إنه ليس هو ..

ليس صاحب عينى الأسد ، الذى التقت به أمس ..

ليس هو بالتأكيد ..

ولقد بدت نظراته إليها خاوية ، توحى بأنـه لـم يستوعب ما يدور فى أعماقها ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ أدخليهما .

رأته ينهض لاستقبال رجلى المخابرات ، وأحدهما يخرج من جيبه مصباحًا صغيرًا ، للأشعة فوق البنفسجية ، وأغلقت الباب خلفهما ، وهى تلهث فى انفعال شديد ..

ذلك الرجل داخل المكتب ، هو (أميجو) القديم ..

لقد تم استبداله مرة أخرى ..

أما الآخر ، فقد رحل واختفى ..

ولا أحد يدرى ، إلى أين ذهب ؟!

إلى أين ؟!

لا أحد يدرى ..

على الإطلاق ..

* * *

جوع شديد ، ذلك الذى شعر به (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير ، وهو يغادر تلك الزنزانة الضيقة ، ويقف أمام (تيا) ورجالها ، وعيناه تقاومان النوم فى صعوبة ..

كان قد فقد الكثير من وزنه ، وبدت ملامحـه متهدلـة ، وكأنما تضاعف عمره مرتين ، خلال تلك الأسابيع التى مضت ، منذ أخرجتهم تلك الزعيمة الغامضة من جزيرتها ..

كان لحظتها مصابًا مرهقًا ، حتى أنه لم يحاول المقاومة ، وهى تحملهم مع مساعدتها إلى سيارة صغيرة ، وتنتقل بهم عبر ممرات طويلة ، إلى حيث تنتظرهم غواصة خاصة ..

كل هذا رصده ، على نحو مهتز ، أشبه بالحلم ، قبل أن يفقد وعيه تمامًا ..

وعندما استعاده ، كان يرقد فيما يشبه مستشفى خاصًا ، لمح فيه (منى) و(شريف) ، و(ريهلم) ، وكلهم يخضعون للعلاج مثله ، و ...

وفقد وعيه مرة ثانية ..

لم يدر كم بقى بعدها فاقد الوعى ، إلا أنه استيقظ ، وهو يشعر بجوع شديد ، لم يشعر بمثله فى حياته قط ، فوجد نفسه داخل حجرة مغلقة من كل الاتجاهات ، مقيدًا إلى ما يشبه الفراش المعدنى ، وفى ذراعه إبرة تنقل بعض محاليل التغذية إلى دمائه مباشرة وعندئذ أدرك ، لماذا يشعر بالجوع ..

تلك المحاليل الغذائية لن تكفيه حتمًا ..

إنه يحتاج إلى طعام ..

طعام حقيقى ..

ودسم ..

وكثير ..

باختصار ، طعام مشبع ، لمن فى مثل عمره وحجمه ..

ثم إنه كان يشعر بغثيان ؛ بسبب اهتزازات غير منتظمة ، للمكان الذى يرقد فيه ..

ولقد جعله ذلك الشعور ، يدرك ماهية ما يحدث ..

إنهم ينقلونه ، على متن سفينة ما ..

سفينة وسط مياه متلاطمة الأمواج ..

ولقد استمرت تلك الاهتزازات طويلاً ..

وكثيرًا ..

وقبل أن ينهار تمامًا ، رأى ذلك الجزء فى مواجهته يُفتح ، وتلك الصينية تدخل إليه ، ثم تحقن مادة ما ، فى وعاء التغذية الصناعية ، المغروسة إبرته فى أوردته ..

وبعدها فقد الوعى مرة أخرى ..

ويا له من عذاب ، ذلك الذى عاناه مع الآخرين ، منذ استعادوا مع صحتهم ، ليجدوا أنفسهم أسرى ، عند ذلك الأسود فى (هارلم) ..

طعام قليل ، ومعاملة مهينة ، وقسوة لا مبرّر لها ، وأحاديث مبتذلة ، يضطرون لسماعها ليل نهار ..

والمدهش أنهم ، على الرغم من كل هذا ، لم يستسلموا للأمر فى سهولة .. كانوا قد استعادوا عافيتهم ، واستعادوا معها إرادتهم وخبراتهم ، وإصرارهم على الحرية والنجاة ..

ولقد تعاون (شريف) ، مـع (منـى) و(ريهـام) ؛ لابتكـار وسيلة تلو الأخرى للفرار من الأسر ..

وفى مرة أو مرتين ، كانوا قاب قوسين أو أدنى من النجـاح .. ومع كل فشل ، كـان زعيـم عصابـات (هـارلم) يعـاقبهم بمنتهـى الشدة ، والعنف والقسوة ..

وأخيرًا ، وبعد أن أصابـه الملل منهـم ، أدرك أن اجتمـاعهم معًا ، هو الذى يدفعهم إلى هذا ، لذا فقد قرَّر أن يتعامل معهم بعدوانية وقسوة أكثر ..

ولقد أدهشـهم كثيرًا أن قتلهم لم يكن ضمن برنامجـه قط ؛ وكأنما هو مضطر للإبقاء عليهم ، لسبب ما ..

لقد قررّ عزلهم عن بعضـهم البعض ، ووضع كلاًّ منهم فـى زنزانة منفردة ، مع تقييد معصميه وكاحليه بالأغلال المعدنيـة طوال الوقت ..

وعندما قرَّر نقلهم ، من (نيويورك) إلى (تكسـاس) ، تم دس مخدر قوى فى طعامهم ، ففقدوا الوعى طويـلاً ، واستعادوه

ليجدوا أنفسهم فى تلك الزنازين الضيقة ، فى قبو يتجدَّد هواؤه بالكاد ..

وكانت تلك هى الصورة ، التى رأتهم عليها (تيا) ..

شاحبين ..

منهكين ..

نحيلين ..

مقيدين ..

ومرهقين ..

إلا أنهم ليسوا أبدًا محبطين ..

الإرادة كانت تطلّ من عيونهم قوية واضحة ، على الرغم من مظهرهم الرث ، و(تيا) تتطلع إليهم ، قائلة :

ـ جميل أن نلتقى مرة أخرى .

أجابتها (منى) ، فى صرامة متهالكة :

ـ أظننا سنلتقى أكثر من مرة بعدها .

هزَّت (تيا) كتفيها ، وقالت :

ـ ليس بالضرورة .

هتف (قدرى) فجأة :

ـ نحن جائعون .

رمقته (منى) بنظرة صارمة معاتبة ، وتبادل (شريف) و(ريهام) نظرة صامتة ، فابتسمت (تيا) ، قائلة :

ـ هذا أفضل .. فالجوعى تشغلهم بطونهم عن أمور أكثر أهمية ، وفى المعتاد ...

قاطعتها (منى) فى حزم :

ـ لماذا تحتجزوننا ؟!

تطلّعت إليها (تيا) فى استخفاف ، وهى تقول :

ـ ليس من حقك هنا إلقاء الأسئلة .

قال (مارلو) فى خشونة :

ـ يمكننى لو أردت ، أن أنسف رأسها فورًا .

التفتت إليه (منى) بنظرة متحدية ، قائلة :

ـ ولماذا لا تفعل ؟!

أطلّ غضب عنيف من عينيه الحمراوين ، وانطلقت من حنجرته زمجرة وحشية مخيفة ، وهو يسحب مسدسه ، فندت من (قدرى) حركة متوترة ، فى حين قالت (منى) ، دون أن يهتز لها جفن ، على الرغم من ضعفها الواضح :

ـ هيا .. افعل ؟!

صوّب مسدسه إلى رأسها مباشرة ، وسحب إبرته ، وهو يطلق زمجرة أخرى ، فقالت (تيا) فى صرامة :

ـ لو ضغطت هذا الزناد ، ستبغض اللحظة ، التى ولدت فيها ..

زمجر مرة ثالثة ، وهو يصرخ :

ـ يبدو أنك لم تنتبهى بعد ، إلى أننى أنا من يحمل السلاح أيتها الصينية ، وأننى لو أردت ...

قبل أن يتم عبارته ، وثبت (تيـا) فجأة ، وقفزت قدماها فى آن واحد ، فركلت إحداهما المسدس من يده ، وركلت الثانية فكـه مباشرة ..

وفى رد فعل سريع ، رفع حارساه مدفعيهما الآليين ..

ووثبت (تيا) نحوهما ..

لم يـدر رجالهـا الخمسـة كيـف تحركت بمثل هذه السرعة ، إلا أنهـا عنـدما توقفـت ، كـان (مـارلو) وحارسـاه أرضـًا ، وكانت هى هادئة متماسكة ، وكأنما لم تبذل أدنى جهد ، وهى تقـول :

ـ معذرة ، ولكننى لم أسمع فقرتك الأخيرة ، الخاصة بمن يحمل السلاح .

رمقها (مارلو) بنظـرة مقت واضحـة ، وهو ينهض ممسكًا فكه ، دون أن ينطق ببنت شـفة ، وتطلّـع إلـى مسدسه فى حذر متوتر ، فأشارت بيدها فى لامبالاة ، قائلة :

ـ يمكنك أن تلتقطه .

ثم تجاهلتـه تمامًا ، وأولتـه ظهرهـا ، وهى تواجـه (منـى) ، قائلة فى لهجة متحدية :

ـ أتريد معرفة لمـاذا لانقتلكم !!

أجابتها (منى) فى هدوء :

ـ إننى أعـرف الجـواب ، ولكننـى أردت أن أسـمعك تنطقينـه بنفسك .

قالت (تيا) ساخرة :

ـ حقًا ؟!

أجابتها (منى) بنفس الهدوء القوى ، على الرغم من أغلالها المعدنية :

ـ إنهـا نفس الفـكرة ، التى تدفـع الـدول المتصارعـة لسجن جـواسـيس الـدولـة الأخـرى ، بدلاً مــن قتلهم ؛ إذ أن قيمتهم أحيـاء ، تفـوق ألـف مـرة متعـة الانتقـام منهم بقتلهم ؛ فقد تأتى لحظة ، يساوى الواحد منهم حياة بطـل ، من أبطـال الدولـة الأم .

ابتسمت (تيا) ، مغمغمة :

ـ تظنينها نظرية تبادل أسرى إذن .

أجابتها (منى) :

ـ إنها كذلك ، على نحو أو آخر ، فلا أحد يحتفظ بأسراه أحياء ، إلا للإفادة منهم فيما بعد .

اتسعت ابتسامة (تيا) ، وحملت قدرًا كبيرًا من السخرية ، وهى تميل نحو (منى) ، قائلة :

ـ حقًّا ؟! ولماذا تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بأسراها فى (جوانتانامو) إذن ؟! إنها لن تستبدلهم يوما بآخرين ، إلا أنها ترغب فى الانتقام منهم ، والتشفى فيهم ، وهذا وحده دافع قوى .

هزت (منى) كتفيها ، قائلة :

ـ ربما بالنسبة للأمريكيين ، ولكننى لا أستطيع تطبيق المبدأ نفسه ، على من يحتفظون بأسراهم لدى آخرين .

قالت (تيا) فى تعال :

ـ ربما لدينا أسبابنا .

تساءلت (منى) فى اهتمام :

ـ وهذا يدفعنا للتفكير فى تلك الأسباب .

بينما تنطق عبارتها ، لاحظت أن (مارلو) وحارسيه قد تراجعوا إلى ركن تلك القاعة الواسعة ، على الرغم من أن الحارسين لم يستعيدا مدفعيهما بعد ، وتساءلت : ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، و(تيا) تجيب فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

زمجر (مارلو) ، قائلاً :

ـ لماذا لا تخبرينهم بأمر ذلك المصرى .

لم يكد ينطقها ، حتى استدارت (تيا) إليه ، بحركة حادة غاضبة ، جعلت الأسرى الأربعة يتطلعون إلى بعضهم البعض ، فى مزيج من الدهشة والتوتر ، قبل أن يهتف (قدرى) ، بصوت حمل قدرًا هائلاً ، من اللهفة والأمل :

ـ المصرى ؟! أى مصرى ؟!

قـال (مـارلـو) فـى خشـونـة ، متجـاهـلاً نظـرة (تيـا) الغاضـبة :

ـ رجل المخابرات المصرى ، الذى ..

فى هذه المرة ، قاطعته (تيا) بصرخة غاضبة :

ـ اصمت ..

وبكل انفعال الدنيا ، هتف (شريف) و(ريهام) معًا :

ـ الأستاذ .

أما (منى) ، فقد شعرت بجسدها النحيل كله ينتفض ، وهى تقول منفعلة :

ـ (أدهـــم) ؟! أتعنيـن أن (أدهـــم) مـازال علـى قيـد الحيـاة ؟!

وهتف (قدرى) :

ـ ربـاه ! ربـاه !

بدت (تيا) شديدة الغضب والثورة ، وهى تصرخ فى وجه الزنجى الضخم :

ـ أيها الغبى الأحمق .

احتقنت عينا (مارلو) فى شدة ، وهو يطلق زمجرة جديدة أكثر وحشية ، وقال :

ـ مستر (جاكسون) كان على حق .

لم تفهم (تيا) ما يعنيه ، ولكنـه تراجع نحو الجدار ، متابعًا فى غضب هادر :

ـ إنك تستحقين القتل .

التقى حاجبا (تيا) فى شدة ، واتخـذت وضعًا قتاليًا متحفزًا ، وهى تقول :

ـ ذلك الحقير (جاكسون) قالها .

قال (مارلو) فى شراسة :

ـ لم يقلها فحسب .

وبحركـة سريعة مفاجئـة ، ضغط حجرًا بـارزًا فـى الجـدار ، فسقط فجأة قفص من الصلب الثقيل ، ليحيط (تيا) ورجالها ..

وعلى الرغم من سرعة استجابة (تيا) المدهشة ، ومحاولتها الوثوب خارج دائرة الفخ ، إلا أن سرعة هبوط ذلك القفص كانت مدهشة وكبيرة ، على نحو احتواها مع رجالها ، قبل أن تنجح من الإفلات ..

ومع سقوط القفص ، تراجع الأسرى الأربعة بحركة حادة ، وهتفت (منى) :

ـ يا إلـهى !

ومع هتافها ، أطلق (مارلو) ضحكة ساخرة وحشية عالية ، ورفع مسدسه ، قائلاً :

ـ هنا يكمن الفارق ، بين من يحمل السلاح ، ومن لايحمله أيتها الصينية .

أمسكت (تيا) قضبان القفص ، وهى تقول فى صرامة غاضبة :

ـ هل يعلم (جاكسون) بأمر تلك الحماقة ؟!

أطلق (مارلو) ضحكة وحشية أخرى ، وقال :

ـ مستر (جاكسون) شخصيًا ، هو الذى أمر بهذا .

هتفت فى حدة مستنكرة :

ـ أمر به ؟!

غمغم (قدرى) ، عندما سمع هذا :

ـ أحقًا ؟!

أجابته (منى) ، هامسة فى حزم :

ـ اصمت يا صديقى ، وراقب كيف تتعامل الوحوش فيما بينها .

تمتم (شريف) :

ـ المهم ألا نصبح نحن فريسة لها .

رمقته بنظرة جانبية متوترة ، فى حين كان (مارلو) يجيب (تيا) ، وهو يشير إلى حارسيه بالتقاط مدفعيهما :

ـ الواقع أنها كانت خطة عبقرية ، أسهمتم أنتم فى إنجاحها ، عندما أصررت أنت ورجالك الخمسة ، على رؤية الأسرى بأنفسكم .. لقد أهنت مستر (جاكسون) كثيرًا أمام رجاله ، وتعاملت معه فى غطرسة وتعال ، لايمكنه قبولهما قط ، ولقد نسيت أنت وزعيمتك ، أن مثله لايمكن أن يغفر أو ينسى أبدًا وفى عالمنا ، يمثل الانتقام ودفع الثمن نصف السمعة والسطوة .

قالت فى حدة :

ـ لو علمت الزعيمة بما حدث هنا ، ستسحقك وزعيمك سحقًا .

أشار بسبابته ، قائلاً :

ـ لو علمت .. هذه هى النقطة الأساسية ، فى خطة مستر (جاكسون) العبقرية كلها ، فما سيلغ زعيمتك ، هو أنك أسرفت فى ثقتك بنفسك ورجالك ، وأصررت على مقابلة الأسرى وحدك ، فقاموا بحركة تمرد جديدة ، أدت إلى مصرعكم .

وصمت لحظة ، ثم أدار عينيه إلى رفاق (أدهم) الأربعة ، مضيفًا فى وحشية متلذذة :

ـ ومصرعهم .

اتسعت عيون أربعتهم فى دهشة ، وهتفت (منى) :

ـ أيها الحقير .

استقبل (مارلو) هتافها بضحكة ساخرة عالية ، وأشار إلى رجليه ، قائلاً فى خشونة وحشية :

ـ اتركوا الصينية للنهاية .. أريدها أن تشهد كل شىء .

مع نهاية عبارته ، ارتفعت فوهتا المدفعين الآليين ، نحو رجال (تيا) الخمسة ، الذين ارتفعت صرخاتهم الغاضبة العصبية ، ثم لم تلبث أن امتزجت بدوى رصاصات المدفعين الآليين ، وهى تنطلق لتحصد العمالقة الخمسة بلا رحمة ، وتتناثر دماؤهم على وجه (تيا) وثوبها ، فهتفت محنقة :

ـ لن تفلتوا بهذا .

كانت تشعر بعجز تام ، لم تشعر بمثله قط ، وهى سجينة داخل ذلك القفص ، كحيوان جريح ، وحولها جثث رجالها الخمسة ..

وبمنتهى السخرية والوحشية ، أطلق (مارلو) ضحكة عالية أخرى ، وهو يدير فوهة مسدسه نحو رفاق (أدهم) الأربعة ..

وبحركة آلية ، رفع حارساه مدفعيهما إلى الاتجاه نفسه ..

واتسعت عيون الأسرى المنهكة ..

فعبر الفوهات الثلاث ، بدا لهم الموت مطلاً برأسه ، فى تحد ساخر سافر ..

وبكل ما يعتمل فى نفسها ، صرخت (منى) :

ـ (أدهم) .

ومع نهاية صرختها ، دوت الرصاصات .

وانتفض جسد (تيا) ..

بمنتهى العنف .

* * *

8 ـ هــو..

سرت موجـة عنيفـة من التوتـر ، فـى كيـان مدير المخـابرات الأمريكية ، وهو يجلس خلف مكتبه ، متطلعًا إلى رجليه ، وأحدهمـا يقول :

ـ إنه هو .. لقد أعدنا فحصه ، وكل النتائج تتطـابق مـع الفحص السابق .

وغمغم الآخر فى ضيق :

ـ كان موقفنا سخيفًا جدًا يا سيدى .

خُيِّل لمدير المخابرات أنه قد انكمش فى مقعده ، وهو يتطلَّع إليهما فى صمت منكسر غاضب ..

لقد خدعته الزعيمة ..

خدعته مرة أخرى ..

أو أنها قد فقدت براعتها ..

ما أن يظهر رجل المخابرات المصرى فى الصورة ، حتى ترتبك .. وتضطرب ..

وتفقد تركيزها وبصيرتها معًا ..

وهم ينقادون إليها كالعميان ..

ليس مرة واحدة ، وإنما مرتان ..

نعم .. مرتان ..

وبكل غضبه ، أشار إلى الرجلين ، قائلاً :

ـ اتركانى وحدى .

سأله أحدهما فى حذر ، وهو يغادر الحجرة :

ـ هل تريد تقريرًا مكتوبًا يا سيدى ؟!

نهض من خلف مكتبه ، وهو يقول فى حدة :

ـ كلا .. لا أوراق مكتوبة .. لا أوراق رسمية على الإطلاق .. هل تفهمان ؟!

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وغمغم الآخر :

ـ بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

تركهما يغادران مكتبه ، وهو يقف عند النافذة ، وكل ذرة فى كيانه تشتعل بغضب هادر ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

هل فقدت الزعيمة لمستها السحرية ؟!

أم أن رجل المخابرات المصرى قد تفوّق عليها ؟!

إنه أكثر من يدرك مهاراته ..

وخبراته .. وعبقريته ..

وقدراته المدهشة ، على تجاوز أدق الصعاب ..

ولكنه يشعر بالحنق ؛ لأنه ينجح فيما تفشل فيه إدارته كلها ..

بل دولته بأكملها ..

(أدهم صبرى) وحده أمكنه كسر أنفها ..

وهزيمتها ..

وإفقادها صوابها ..

ولدقائق ، تمنى لو أن هذا الرجل يعمل فى صفوفه ، وليس فى صفوف المخابرات المصرية ..

والواقع أنه كان يحسدهم عليه ..

يحسدهم ، ويشعر بالغضب منهم ، فى الوقت ذاته ..

وبينما استغرق فى تلك الأفكار الملتهبة ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه دون أن يلقى نظرة على شاشته ، وكأنما هو واثق من هوية محدثته ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كنت أنتظر اتصالك هذا .

فوجئ بها تقول فى هدوء :

ـ ليس هو .. أليس كذلك ؟!

قال فى حدة :

ـ من الواضح أن المعلومات تبلغك ، قبل حتى أن تبلغنا .

صمتت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ هذه المرة لم يبلغنى شىء ، ولكننى توقعت هذا .

هتف غاضبًا مستنكرًا :

ـ توقعته .

تجاهلت غاضبه تمامًا ، وهى تتابع :

ـ فقد وصلتنى معلومة ، تؤكد أن تلك الطائرة الخاصة قد عادت من (أوروبا) ، وعلى متنها راكب واحد ، حملته سيارة مغلقة مؤمّنة ، من مطار الشركة إلى مبناها الرئيسى مباشرة .

قال فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

أجابته فى حزم :

ـ لقد أدرك أننا كشفنا أمره ، فأعاده .

شعر مدير المخابرات الأمريكية بغضب هادر ، يتصاعد فى أعماقه ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ أعاد من ، وأرسل من ؟! ماذا أصاب عقلك أيتها الزعيمة ؟! ماذا أصاب رجاحته وبعد بصيرتك ؟! لماذا أصبحت الأمور معقّدة ومرتبكة داخل ذهنك ، على هذا النحو ، الذى جعل منك ومنا أضحوكة .

صاحت به غاضبة :

ـ الأمور ليست كذلك فى عقلى وحـده .. إنها كذلك فى عالم الواقع أيضًا .. لقد تعمّد هذا .. أربكنا بأمور متشابكة ومعقّدة ، وأوقعنا فى خطأ تلو الآخر ، حتى يشتت أذهاننا ، ويبعدنا عن ..

بترت عبارتها دفعة واحدة ، فسألها فى عصبية :

ـ يبعدنا عن ماذا ؟!

صمتت لحظة ، وكأنها تفكّر فى شىء ما ، ثم أجابت فى بطء ، حمل كل غضبها من نفسها :

ـ عن هدفه الرئيسى .

ردّد مدير المخابرات خلفها فى حذر :

ـ هدفه الرئيسى ؟!

كرّرت ، وقد حمل صوتها مقتًا بلا حدود :

ـ نعم .. هدفه الرئيسى .

سألها بأنفاس مبهورة :

ـ وما هدفه الرئيسى هذا ؟!

صمتت طويلاً هذه المرة ، قبل أن تجيب فى حدة :

ـ (تكساس) .

ولم يفهم مدير المخابرات المركزية الأمريكية ، ما عنته زعيمة منظمات الجاسوسية الحرة بقولها هذا ..

لم يفهم أبدًا ..

أبدًا ..

★ ★ ★

من المؤكَّد أن مقاتلـة مثل (تيا) ، قد شاهدت وخبرت الكثير ، خلال حياتها الحافلة ..

والكثير جدًا ..

جدًا ..

لذا ، فعندما يثير مشهد مـا انفعالهـا ، إلى حد الذهول ، فمن الضرورى أن يتم تسجيله ..

وفى تلك القاعة الواسعة ، أسفل إسطبلات (جاكسون) ، شـاهدت (تيا) أكثر المواقف المدهشة ، فى حياتها كلها ..

فهناك ، صوَّب (مـارلو) وحارساه أسلحتهم ، نحو (منـى) و(قدرى) و(شريف) و(ريهام) ، وأطلق الأوَّل ضحكة وحشية ظافرة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ..

وصرخت (منى) باسمه ..

باسم (أدهم) ..

صرخت ، وكأنما تستنجد به ، فى موقفها هذا ..

ولوهلة ، بدت صرختها جوفاء ، بلا قيمة ..

ثم ظهر هو ...

انقض فجأة ، من أعلى السلم المعدنى ، كما لو أنه قد نبت من الفراغ ، أو أتى من العدم ..

أو كأنه جنى المصباح ، يستجيب لنداء صاحبه ..

ولقد ظهر كالعاصفة ..

بل كالإعصار ..

وانتفض جسد (تيا) كله فى عنف ، عندما رأتـه ينقض على الرجال الثلاثة ، كما لو كان جنى ثائر ، فلكم أحدهم فى أنفه ، الذى تفجَّرت منه الدماء فى عنف ، وجسده يطير ليرتطم بالجدار ، ثم استدار إلى الثانى وهوى على فكه بلكمة ، أصدرت قرقعة مخيفة ، وتساقطت معها ثلاث من أسنان الرجل .

ثم استدار يواجه (مارلو) ..

وانتفضت أجساد الجميع ..

وصرخت (منى) مرة أخرى ، ودموعها تتفجَّر من عينيها :

- يا إلهى ! (أدهم) .

تلك الدموع ، التى قاومت مرارة الأسـر ، ومهانـة العذاب طويلاً ، لم تستطع البقاء فى عينيها ، فتفجرت تغمر وجهها كله

فى لحظـة ، وقلبهـا ينتفـض بين ضلوعهـا ، فـى سعادة لـم ولـن تشعر بمثلها قط ..

(قدرى) نفسه صرخ ..

وراح يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

كل سعادته ، وفرحته ، وانفعالاته أفرغها ، فى مجموعـة مـن الصرخات القوية المتتالية ..

أما (شريف) و(ريهام) ، فقد اتسعت عيونهما عـن آخرهـا ، وخفق قلباهما بمنتهى منتهى العنف ..

وأمام عينى (تيا) الذاهلتين ، أمسك (أدهم) معصم (مـارلو) ، قائلاً بصوت قاس غاضب :

ـ من حسن حظك أيها الوغد ، أنك لم تمس شعرة واحدة منهم بعد .

كان (مارلو) يفوقه حجمًا بكثير ، ولقد حاول التملُّص من أصابعه الفولاذية قبل أن يحاول أن يلكمه بيسراه ، ولكن (أدهم) استقبل

اللكمة فى راحة يده اليمنى ، التى بدت كجدار من الصلب ، وهـو يكمل ، بنفس اللهجة القاسية الغاضبة :

ـ فلو فعلت ، لمزقت أطرافك بلا رحمة .

ثم هوى على أنفه بلكمة ساحقة ، مضيفًا :

ـ ثم شويتك حيًا .

وكال له لكمة ثانية ، فى أسنانه مباشرة ، وهو يتابع :

ـ وألقيت جثتك للكلاب .

غامت عينا (مارلو) بالدماء والدموع ، وحاول أن يصرخ :

ـ مستر (جاكسون) .

ولكن صرخته أتت متحشرجة ، مختنقـة ، فأخرسـه (أدهم) بلكمـة ثالثة ، تراجع جسده بعدها فى عنف ، ليرتطم بالقفص ، الذى يسجن (تيا) ..

وفى لحظـة واحدة ، وبسرعة مدهشـة ، أحاطت (تيـا) عنقه بيمناها ، وأدارت رأسه بيسراها ، هاتفة فى مقت :

ـ اتركه لى .

بدا صوت تحطم عنق (مارلو) مخيفًا ، قبل أن يسقط أرضًا جاحظ العينين ، فى نفس اللحظة التى استدار فيها (أدهم) إلى رفاقه الأربعة ، وبدا كأسعد مخلوق فى الكون كله ، وهو يسألهم :

ـ أأنتم بخير .

ارتفعت صيحاتهم الفرحة ، وهم يتدافعون نحوه ، على الرغم من قيودهم المعدنية ، فاحتوى هو (منى) بين ذراعيه ، وتطلّع إليها فى حب جارف ، قبل أن يربّت على كتف (قدرى) ، قائلاً بابتسامة حنون :

ـ أين ذهبت أكوام الشحم يا صديقى ؟!

هتف (قدرى) ، باكيا فى حرارة :

ـ فليذهب كل شىء ، ما دمت قد عدت إلينا يا صديقى .

ربّت (أدهم) على كتفه مرة أخرى ، واستدار يضم إليه (شريف) و(ريهام) ، دون أن يفلت (منى) ، ثم التفت إليها قائلاً فى حب وحنان :

ـ كم أساءوا إليك يا حبيبتى .

لم تستطع كبح دموعها ، وهى تلصق رأسها بصدره القوى ، قائلة :

ـ عذاب الدنيا كله لا يساوى شيئًا ، لو أنه ثمن لعودتك إلينا حيًّا يا (أدهم) .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وانحنى يطبع قبلة على جبينها ، فصفقت (تيا) بكفيها فى برود ، على نحو انتزعهم من مشاعرهم ، وهى تقول :

ـ عظيم .. موقف مؤثر للغاية .. كنت أتمنى لو أمكننى تسجيله ، لأطعم به فيلمًا من أفلام الدرجة الثالثة ، ولكن دعونى أذكركم ، فى لحظات حبكم هذه ، أن أحداث الفيلم لم تنته بعد ، وأننا مازلنا داخل مزرعة (جاكسون) ، ووسط رجاله .

استدار إليها (أدهم) ، قائلاً :

ـ آه .. كدنا ننسى الفأر الصينى ومصيدته .

قالت فى حدة :

ـ الفأر الصينى هذا كان له فضل إنقاذ حياتك ، عندما قررت أن تلعب دور (شمشون)(*) ، فى جزيرة الزعيمة ، فى قلب الأطلنطى(**) .

تطلع إليها بابتسامة ساخرة ، قائلاً :

(*) شمشون : بطل من التراث الشعبى الفلسطينى القديم ، ورد ذكره فى العهد الجديد ، واشتهر بقوته الهائلة ، وتقول روايته أن قوته كانت تكمن فى شعره ، الذى قصته له (دليلة) ، ففقد قوته ، ثم استعادها داخل المعبد ، فهدمه على رأسه ورءوس جميع من فيه .

(**) راجع قصة (النهاية) .... المغامرة رقم (150) .

ـ وماذا لو أننى قد استعدت ذكريات تلك اللحظات ، وأدركت أن القط هو الذى أنقذنى ، وليس الفأر .

قالت فى حدة :

ـ فليكن .. إنك لن تتركنى خلفك ، فى كل الأحوال .. هذه ليست شيمتك .

مطّ شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

ـ الإنسان يتغير ، مع مرور الزمن .

احتقن وجهها فى شدة ، وأمسكت قضبان قفصها ، صائحة فى حدة :

ـ على الأقل لا تتركنى داخل هذا القفص اللعين .

تجاهلها (أدهم) تمامًا ، وهو يلتفت إلى (منى) ، قائلاً فى حنان :

ـ أظن أن الخطوة الأولى ، هى تخليصكم من هذه القيود .

هتف (قدرى) فى حماس :

ـ وما رأيك لو أن الخطوة الثانية ، هى أن نتناول وجبة دسمة ؟!

ضحك (أدهم) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ اطمئن يا صديقى .. ستستعيد كل ما فقدته من وزن ، على الرغم من قلقى من سمنتك المفرطة .. هذا وعد .

قال (قدرى) فى لهفة :

ـ ترى هل يمكنك تحقيقه ، قبل غروب الشمس .. إننى أتضوّر جوعًا .

هتفت (تيا) فى حدة :

ـ عظيم .. انتقلنا من الأفلام الرومانسية إلى الأداء الهزلى .. ألن ننهى كل هذا ، ونتسلّل إلى عالم الواقع ، قبل أن يدرك زعيم (هارلم) وقتلته ما حدث ؟!

مرة أخرى ، تجاهلها (أدهم) تمامًا ، وهو يفتش جيوب رجال (جاكسون) الثلاثة ، الذين أفقدهم الوعى ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

ـ لا أحد منهم يحمل مفاتيح الأغلال .

هتفت (تيا) بنفس الحدة :

ـ وماذا توقعت أيها المحترف ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يجذب سلكًا رفيعًا من حزامه ، قائلاً :

ـ لا شىء .. كنت أرغب فى توفير الوقت فحسب .

قالها ، وراح يعالج قيود رفاقه ، فى سرعة ومهارة ، وتابعته (تيا) فى دهشة مبهورة ، فى حين غمغمت (منى) فى حنان :

ـ لا يمكنك أن تتصوّر ، كم اشتقت لهذا .

منحها ابتسامة هادئة ، وأكمل عمله فى صمت ، حتى انتهى من حل قيود أربعتهم ، فوقف (شريف) و(ريهام) أمامه فى احترام ، وقال الأوّل فى حزم :

ـ إنه لشرف أن نعود إلى العمل تحت إمرتك يا أستاذ .

هتف (قدرى) ، وهو يحتضنه فى حب :

ـ بل هو من الرائع أن أراك مرة أخرى ، يا أعظم صديق عرفته .

صرخت (تيا) فجأة :

ـ رباه ! لقد سئمت هذه الأفلام السخيفة .

تجاهلتها (منى) هذه المرة ، وهى تسأل (أدهم) فى لهفة :

ـ ولكن كيف توصّلت إلينا ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

ابتسم ، مجيبًا :

ـ لقد أتيت بالطائرة .

ثم التفت إلى (تيا) ، مكملاً فى سخرية :

ـ طائرتهم .

انتفضت (تيا) فى قوة ، وهى تهتف ذاهلة :

ـ طائرتنا ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ نعم يا عزيزتى .. فى طائرتكم .. أتيت وأنا أحتمـل رؤيتك ، أنت وذلك الحقير من (هارلم) لخمس ساعات كاملة .

هتفت ذاهلة :

ـ مستحيل ! الطائرة لم تضم سوى رجالى ، وقد لقوا مصرعهم جميعًا ، ورجال (جاكسون) ، وكلهم من السود ، و ...

قاطعها ساخرًا :

ـ والطيار ، ومساعده .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

ـ مستحيل !

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ لو أننى انتحلت شخصية الطيَّار ، لكان هذا بالفعل مستحيلاً ؛ لأننى أجهل موقع المزرعة ، والسبل الجوية لبلوغها ، لذا فقد

انتحلت شـخصـية مسـاعد الطيـار ، وتركـت للطيَّـار القيـادة وتحديد المســار ، واكتفيت بإبراز مهارتى فى التحكُّم بالطائرات فحسب .

لم تستطع إخفاء ذهولها وانبهارها ، وهى تحدّق فيه ، قبل أن تقول فى بطء :

ـ وكـ ... كيف عرفت أن (جاكسون) يحتفظ بهم ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ـ أنت قدتنى إليه .

هتفت مذعورة :

ـ أنـا ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وتابع :

ـ اللعبة كانت ناجحة ، أكثر مما توقَّعت .. لقد أربكت الكل ، فى محاولة تحديد هوية رجل ، وأطلقت كـل أقسـام التحريات فـى الشركة ؛ للبحث عن رفاقى الأربعة ، بحيث يتصوَّر الجميع أن

هذا هو الهدف الرئيسى للبحث ، ولكننى فى الواقع ، كنت أبحث عن شخص آخر تمامًا .

ثم أشار إليها ، مضيفًا :

ـ أنت .

حدّقت فيه بنفس الذهول المبهور ، وهو يتابع مبتسمًا :

ـ كنت واثقًا من أن زعيمتك سترتبك ، مع حالة الاضطراب التى صنعتها ، وأن أول ما سترغب فى التيقن منه ، هو أن غنيمتها الكبرى ما زالت فى قبضتها .. ولأنها تدرك عقم سرية وسائل الاتصال العادية ؛ فستلجأ حتمًا إلى السعى خلف تأكيد بصرى لا يقبل الشك ، ولم يكن لديها من تثق فيه ، فى مثل هذه الأمور سواك .. لذا فقد أطلقت عشرات العيون للبحث عنك ، فى كل مكان يتوقَّع ظهورك فيه ، ومن حسن الحظ ، وسوء تقديرك للأمور ، اعتدت التنقُّل دومًا فى سيارات فارهة مميَّزة ، يسهل رصدها وتعقبها .

قالت فى مقت :

ـ إذن فقد رصدت ذهابى إلى (هارلم) ، ومقابلتى لذلك الحقير (جاكسون) .

ابتسم أكثر ، وهزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ الباقى بعد هذا لم يكن عسيرًا .

غمغمت بوجه وصوت محتقنين :

ـ بالتأكيد ..

لم تكد تنطقها ، حتى تنبهت حواسها كلها دفعة واحدة ، وهتفت فى توتر :

ـ مهلاً :

بدا الاهتمام على وجوه الجميع ، فأضافت فى عصبية :

ـ هناك سيارات تقترب .

كان (أدهم) قد انتبه بدوره إلى ذلك الصوت ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

فخــلال الدقائق ، التى قضاها فى مزرعة (جاكســون) ، أدرك على الفور أن أحدًا لا يستخدم السيارات فيها ..

فمن يقود إذن تلك السيارات ، التى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

مـن ؟!

★ ★ ★

« جاك لوريل » .. من المخابرات الأمريكية ..

نطق رجل المخابرات الأمريكى العبارة فى حزم ، فتطلّع إليـه (جاكسون) فى عصبية واضحة ، وهو يقول :

ـ وما شأن المخابرات المركزية بمزرعتى .

أجابه الرجل فى صرامة :

ـ مسـتر (جاكسـون) .. نحـن نعلم الكثير عن نشاطاتك فـى (هـارلم) ، ولدينـا سـجل حـافل لـك فـى ملفاتنـا السـرية ، ولكـن لاصلة لهذا بقدومنا الآن .

نقل (جاكسون) بصره ، بين السيارات الثلاث ، التى تقف أمام مزرعته ، وفريق الرجال المسلحين ، الذى يقف حولهـا ، قبل أن يقول بنفس العصبية :

ـ لماذا أتى كل هذا الجيش إذن ؟!

شدّ الأمريكى قامته ، وقال فى حزم :

ـ لدينا معلومات ، تؤكّد أن أحد من نبحـث عنهم بشدة ، متواجد الآن هنا .

هتف (جاكسون) فى دهشة مستنكرة :

ـ هنا ؟! فى مزرعتى ؟!

أجابه الرجل بمنتهى الحزم :

ـ نعم .. هنا .

بدا الشك والحذر على وجه (جاكسون) ، وهو يسأل :

ـ إنه ليس أحد رجالى .

أجاب رجل المخابرات فى سرعة :

ـ كلاً .. إنه مصرى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ ضابط مخابرات مصرى .

انتفض جسد (جاكسون) ، وهو يحدّق فى وجهه ، هاتفًا بكل الدهشة :

ـ رجل المخابرات المصرى ؟! هنا ؟! مستحيل !

قال رجل المخابرات فى صرامة :

ـ لدينا تصريح خاص بتفتيش مزرعتك ، ونتمنى أن يتم هذا على نحو ودى ، ودون أية مشكلات .

قال (جاكسون) فى حدة :

ـ ليس بدون حضور فريق محامىّ .

قال رجل المخابرات فى غلظة :

ـ هل تصرّ على هذا ؟!

هتف (جاكسون) :

ـ بالتأكيد .

لم يكد ينطقها ، حتى اندفع أحد رعاة الأبقار إليه ، هاتفًا :

ـ مستر (جاكسون) .. لن يمكنك أن تصدق ما حدث فى الإسطبلات .

لم يكد الرجل ينطقها ، حتى انتبه لوجود رجال المخابرات ، فتراجع بحركة حادة ، إلا أن رجل المخابرات الأمريكى سحب مسدسه فى سرعة ، وهتف برجاله :

ـ إلى الإسطبلات .

صاح (جاكسون) فى غضب :

ـ سأقاضيكم ، لو اقتربتم منها ، دون تصريح رسمى .

استدار إليه رجل المخابرات الأمريكى فى شراسة ، قائلاً :

ـ اسمعنى جيدًا يا (جاكسون) .. البلاد تواجه ظروفًا غير اعتيادية ، وأمنها القومى مهدد ، على نحو لم يحدث من قبل

قط ، ولقد قالها الرئيس ، فى أهم خطبه .. من ليس معنا ، فهو ضدنا .

قال (جاكسون) فى عصبية :

ـ وما الذى يفترض أن يعنيه هذا ؟!

أجابه الأمريكى ، وهو يلوّح بمسدسه فى وجهه :

ـ ما يعنيه هو أنه عندما نواجه خطرًا يهدد أمننا القومى ، نتغاضى فى المعتاد عن أية خلافات أو صراعات داخلية ، حتى تمر العاصفة ، وبصيغة أكثر بساطة .. مهما كان ما تخفيه هنا ، فسنتغاضى عنه تمامًا ، بل وربما نساندك رسميًا ، إذا ما اقتضت الأمور ، لو أنك تعاونت معنا ، فى برنامج مكافحة الإرهاب الداخلى .

مضت لحظة ، حدّق خلالها (جاكسون) فى وجه رجل المخابرات الأمريكى فى بلاهة ، ثم لم يلبث أن استوعب ذلك المنطق المباشر ، فهتف فى رجاله ورعاة أبقاره :

ـ هيا يا رجال .. سنتعاون معهم لاصطياد فريسة .. فريسة بشرية .

وخلال دقائق قليلة ، كان أكثر من مائة رجل مسلح يحاصرون إسطبلات (جاكسون) ، وكلهم متحفزون لإطلاق النار ، على أول هدف يتحرك ..

وكان هذا يعنى أن (أدهم) ورفاقه قد سقطوا فى مصيدة ، لا فكاك منها أبدًا .

مصيدة موت ..

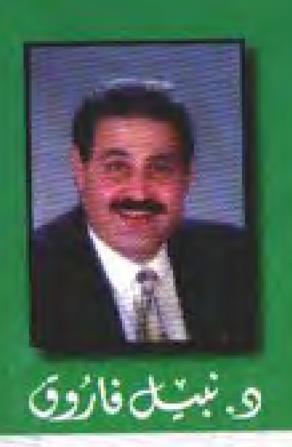
محتوم .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(المواجهـــة)



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

الإرهاب

- دولة عظمى ، تشنُّ حربًا على كل معارضيها ، بحجَّة محاربة الإرهاب ..
- وغموض يشمل كل خطوة ، وكل جولة ، فى معركة متعددة الأطراف ..
- ورجل واحد ، يواجه كل القوى ، فى دولة تتزعم العالم الجديد ..

* اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (رجل المستحيل) فى معركته الأخيرة

155

المغامرة القادمة

المواجهة

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

الثمن فى مصر 300
أو ما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم